التجريد البديعي في ديوان المتنبي

د. عباس حميد مجيد السامرائي

جامعة الأنبار / كلية التربية للبنات /قسم اللغة العربية

توطئة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد صفوة الخلق وخاتم الرسل، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فبمشيئة الله تعالى تهيأ لي من الوقت المناسب لأكثر من ثلاث سنوات أن أقرأ ديوان المتنبي كله عدة قراءات، واستخرجت منه عدة موضوعات بلاغية،وخصصت لكل فن كتبت فيه قراءة، إذ بحثت في فنون بيانية دقيقة منها:((الترشيح الاستعاري في ديوان المتنبي)) و: ((التجريد الاستعاري في ديوان المتنبي))، و((المحايدة بين الترشيح والتجريد في ديوان المتنبي)) و ((فن الاستعارة المطلقة في ديوان المتنبي)) ثم هذا الموضوع: ((التجريد البديعي في ديوان المتنبي)) فبلغ أثر هذا الشعر من نفسي مبلغا كبيرا؛ لما يمتلكه هذا الشاعر الكبير من صياغة عربية أصيلة نابعة من امتلاكه خزينا لغويا واسعا وطاقات تعبيرية هائلة تحكي أسلوبه الفذ، وتنم عن بصمة تعبيرية تفرد بها، فهو سيد لغته وأمير معانيه، حتى كأن ألفاظه حاضرة مع المعنى المراد، وهو ينظم الصورة البديعة ويكثف العبارة البليغة، إلاّ ما ندر مما يكون في بعض نظمه من غموض أو تعقيد؛ ربما كان ذلك؛ لما له من أسلوب شعري ـ وهو إعطاء معان كثيرة بكلمات قليلة ـ أملى عليه أن يقدم ما يستحق التأخير، أو يؤخر ما يستحق التقديم، حتى يصل إلى ما يريد، ولو أدى ذلك إلى تأويلات المتلقي لما يجد من تعقيد في تأليف الكلام. أما غير هذا فالمتنبي ـ لا شك ـ شاعر العربية قد امتلك أصالة اللغة بجدارة، واعتلى صهوة الشعر بمقدرة، وتفرد بأسلوب نابع عن تجربة شعرية،فمن رحم الأصالة ولد شعر المتنبي حتى ليذهب المتلقي أو الناقد إلى أن للصورة البلاغية المكثفة في شعر المتنبي أكثر من معنى، فنفس المتنبي ومداخلها الغريبة حاضرة في كثير من شعره، لاسيّما تجريدياته التي يريد من ورائها أن يلمح بكبريائه في بعض المواقف دون تصريح، فينتزع من نفسه نفسا أخرى يخاطبها كأنها غيره مبتعداً في ذلك عن الانتقاص والنقد، ومبالغا في كمال هذه النفس. واخترت هذا الموضوع البديعي مقتنعا أنّ البديع في شعر المتنبي لم ينل بعد حظه كاملا من التحليل الفني على يد البلاغيين المحدثين، وهذا ما أشار إليه الدكتور الشحات في كتابه ((البديع في شعر المتنبي))، فكتبت في هذا الموضوع ـ التجريد ـ وفي حدود علمي ـ أن الصورة التجريدية البديعية في شعر المتنبي كله لم تستوف حقها من الباحثين، إلا ما كان من شواهد متفرقة في موضوعات بلاغية أو آراء نقدية تكررت في كثير من مصادر البلاغة ومراجعها، فذهبت مع الديوان مستقصيا ـ على ما أظن ـ كل عبارات التجريد البديعي، إلا ما تخطاه القلم غافلا لا متغافلا، والإنسان من طينته الغفلة، ومن شأنه النقصان، ثم وضعت كل تجريد مع نوعه وأداته، وجاءت دراسة هذا الموضوع على مبحثين:

كان المبحث الأول: تعريفا بالتجريد البديعي من حيث فنه وأصالته وبيان أنواعه عند البلاغيين.أمّا المبحث الثاني: فكان في ((التجريد البديعي في ديوان المتنبي)) مبينا الأدوات التجريدية التي استخدمها الشاعر، قلة أو كثرة، محاولا بيان بلاغة هذا الفن البديعي لجميع أمثلته في الديوان. وطموحي بعد ذلك أن يكون هذا الذي كتبت فيه من جديد المكتبة العربية الأكاديمية.

المبحث الأول: التجريد البديعي فنًا وأصالة:

لا شك أنه ولد من رحم لغتنا العربية كثير من أساليب القول وفنونه، حتى امتلأت بها أمهات الكتب وبطون المجلدات، مع قلة حروف هذه اللغة، فمن تركيب هذه الحروف خلدت العربية تراثا ضخما من الأدب الرفيع الذي يخاطب العقل ويهز الوجدان.

وهذا الفن البديعي ـ التجريد ـ واحد من الأساليب العربية العريقة التي ارتبطت جذورها بأول تأريخ اللغة العربية وآدابها؛ إذ يأتي هذا الأسلوب في الكلام الفصيح على السجية والفطرة دون تكلف أو تصنّع؛ لأنه خطاب النفس المتجردة وهي تدّعي الكمال اعتقادا أنَّ في الشيء من نفسه معنى آخر،مبالغة في هذه الصفة ؛ لذلك قالوا في معنى التجريد البديعي بأنه: ((ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة، مبالغة في كمالها فيه، نحو قولهم: لي من فلان صديق حميم، أي: بلغ من الصداقة مبلغا صح معه أن يستخلص منه صديق آخر))[١] مبالغة في كمال الصداقة. وذكر القزويني أقسام التجريد، وأورد أمثلة لكل قسم اعتمدها من جاء بعده من البلاغيين وزادوا عليها.[٢]

ولا تخرج هذه الأقسام في غالبها عن مفهوم انتزاع شيء من شيء آخر هو في الحقيقة الشيء نفسه المنتزع منه، نحو قول المتنبي: [من الكامل][٣]

لـمّا سَمِعتُ بِهِ سَمِعتُ بواحدٍ ورأيتُهُ فرأيتُ ((منْهُ)) خـَميسا

أو يكون على طريقة ((خطاب المرء نفسه)) خطاب المتنبي نفسه في قوله: [من البسيط][٤]

لا خيلَ عِندَكَ تُهديها ولا مالُ فليُسعد النـُطقُ إن لم تـُسعِدِ الحالُ

وهذان الأسلوبان هما أكثر أساليب التجريد البديعي شيوعًا في ديوان المتنبي.

والتجريد قديم في تراثنا اللغوي والأدبي، فقد ذكره سيبويه في كتابه، وإن لم يسمه تجريدا،وإنما وصفه بأنه: أسلوب عربي فصيح، بقوله: ((... ولو قال أمَّا أبوك فلك أبٌ، لكان على قوله:((فلك به أبٌ)) أو ((فيه أبٌ))، وإنمّا يريد بقوله:((فيه أبٌ)) مجرى الأب على سعة الكلام))[٥] وهذا التعبير الذي جاء على سعة الكلام عند سيبويه صار فيما بعد أسلوبا بديعياً على طريقة التجريد بالباء. وكان أبوعلي الفارسي ((ت: ٣٧٧هـ)) من أوائل الذين تعرضوا للتجريد في معناه البديعي،وسماه تجريدا، كما ذكر ذلك ابن جنّي ((ت:٣٩٢هـ)) بقوله: ((اعلم أنَّ هذا فصل من فصول العربية طريف حسن، ورأيت أبا علي ـ رحمه الله ـ به غـَريّا معنيا، ولم يفرد له بابا، لكنه وسمه في بعض ألفاظه بهذه السمة، فاستقريتها منه وأنقت لها.ومعناه ـ أي التجريد: أنَّ العرب قد تعتقد أنَّ في الشيء من نفسه معنى آخر، كأنه حقيقته ومحصوله، وقد يجري ذلك إلى ألفاظها لما عقدت عليه معانيها، وذلك نحو قولهم: ((لئن لقيتَ زيدا لتلقينَّ منه الأسد، ولئن سألتَ لتسألنَّ منه البحر)) فظاهر هذا أنَّ فيه من نفسه أسدا وبحرا،وهو عينه هو الأسد والبحر لا أنَّ هناك شيئا منفصلا عنه وممتازا منه، وعلى هذا يخاطب الإنسان منهم نفسه، حتى كأنها تقابله أو تخاطبه،ومنه قول الأعشى:[٦]

¤ وهل تطيق وداعا أيُّـها الرَّجلُ ¤

والرجل هو الأعشى نفسه لا غيره. وعليه قراءة من قرأ: ((قالَ اعْلَمْ أنَّ الله على كل شيء قدير))[٧] أي اعلم أيُّها الإنسان، وهو نفسه الإنسان))[٨]،و((أعْلَمْ)) على هذه القراءة فعل أمر. أما في المصحف العثماني فجاء الفعل ((أعْلَمُ)) بصيغة المضارع في قوله تعالى چي □ □ □ □ □□ □چ برواية حفص عن عاصم التي بها كتب هذا المصحف الشريف.

وأخرج عبد القاهر الجرجاني ((ت ٤٧١هـ أو٤٧٣هـ)) الاستعارة من التجريد بـ ((الباء)) و((من)) بقوله: ((فإن قلت:فما تقول في نحو قولهم: ((لقيتُ به أسدا)) و ((رأيت منه ليثا))، فإنه مما لا وجه لتسميته استعارة، ألا تراهم قالوا:((لئن لقيتَ فلأنا ليلقينك منه الأسد)) فأتوا به معرفة على حدّه إذ قالوا ((إحذر الأسد)). وقد جاء على هذه الطريقة ما لا يتصور فيه التشبيه فيُظـَنَّ أنه استعارة، وهو قوله عزَّوجل

چ □ □ □ □□ چچ[٩] والمعنى ـ والله اعلم ـ أن النار هي دار الخلد، وأنت تعلم أن لا معنى ههنا لأن يقال:إن النار شبّهت بدار الخلد؛إذ ليس المعنى على تشبيه النار بشيء يسمى دار الخلد، كما تقول في

زيد (إنه مثل الأسد) ثم تقول:((هو الأسد)) وإنما هو كقولك:((النار منزلهم ومسكنهم ـ نعوذ بالله منها ـ))[١٠]والتجريد في الآية جاء بدخول ((في))على المنتزع منه. ولا يقصد فيه تشبيه الشيء بغيره.[١١] ويمثل عبد القاهر للتجريد بـ ((من)) بقول الشاعر:

أخو رغائب يعطيها ويسألها يأبى الظلامةَ منه النَّوفَلُ الزُّفَرُ[١٢]

المعنى على أنه النوفل الزفر، وليس النوفل الزفر باسم لجنس غير جنس الممدوح، كالأسد، فيقال: إنه شبّه الممدوح به ؛ وإنما هو صفة، كقولك: ((هو الشجاع)) و ((هو السيد)) و((هو النهّاض بأعباء السيادة)). [١٣] وأخرج شرّاح التلخيص التجريد بـ ((من)) الداخلة على المنتزع منه من التشبيه، نحو قولهم:((لي من فلان صديق حميم))، فلا يقصد تشبيه الشيء بغيره. وزعم بعضهم أنه على حذف المضاف، فمعنى قولهم: ((لقيت من زيد أسدا)) لقيت من لقائه أسدا، والغرض تشبيهه بالأسد. ولا يخفى ضعف هذا التقدير في مثل قولنا: ((لي من فلان صديق حميم)) لفوات المبالغة في تقدير: حصل لي من حصوله صديق.[١٤]

ومن التجريد بـ ((من)) الداخلة على المنتزع منه قول الشاعر: [١٥]

وبي ظبيةٌ أدماءُ ناعمة الصِّبا تَحارُ الظباءُ الغيدُ من لفتاتِها
أُعانِقُ غُصنَ البان من لِينِ قَدِّها وأجني جَنيَّ الوردِ من وَجَناتِها

فإنه جرد من قدها غصناً ومن وجنتيها ورداً.

وقول أبي العلاء:

ماجَتْ نميرُ فهاجَتْ منكَ ذا لبد والليثُ أفتكُ أفعالاً من النَّمِرِ

أما ((الباء)) التجريدية الداخلة على المنتزع منه، فنحو قولهم: ((لئن سألت فلأنا لتسألن به البحر))وفيه بالغ في اتصافه بالسماحة حتى انتزع منه بحرا في السماحة. فالباء هنا يناسبها أن تكون للمصاحبة، أي لتسألن مع فلان حين سؤالك له بحرا آخر معه، أي شخصا كريما كالبحر مصاحبا له، ويحتمل أن تكون للسببية أي لتسألن بسببه البحر، بمعنى أنه كان سببا لوجود بحر آخر معه مجردا منه مماثلا له في كونه يسأل[١٦]. ومنه قول الشاعر:

دعوتُ كليباً دعوةً فكأنَّما دعوتُ بها ابنَ الطَّوْدِ أو هو أسرعُ

جرد من كليب شيئا يسمى ابن الطود، وهو الصدى، والحجر إذا تدهده، يريد به سرعة استجابته. [١٧]

أما التجريد بدخول باء المعية في المنتزع، فنحو قول الشاعر:

وشوهاءَ تعدو بي إلى صارخِ الوَغى بِمُستَلئِمٍ مثلَ الفَنيقِ المُرَحَّلِ

فلا يقصد فيه تشبيه الشيء بغيره.والباء فيه للمصاحبة والملابسة. ولايناسبها هنا إلاّ هذا المعنى؛ لأنها لو جعلت للسببية كان التقدير: تعدو بي بسبب مستلئم، فيكون المستلئم الذي هو المنتزع سببا للمجرد منه، وهو الذي يلبس اللأمة حقيقة، والمقرر: أن المجرد منه هو السبب والمنشأ لا العكس، ولذلك جعلت الباء للمصاحبة. [١٨] والمعنى: تعدو ـ أي الفرس ـ ومعي من نفسي لكمال استعدادها للحرب لابس درعٍ.وبذلك بالغ في وصف نفسه بالشجاعة والاستعداد للحرب حتى انتزع منها مستعدا آخر لابسا لأمة.[١٩]

ومن التجريد ما يكون بلا توسط حرف من حروف التجريد، نحو قول قتادة بن مسلمة الحنفي:

فلَئِنْ بقيتُ لأَرحَلَنَّ بغَزوةٍ تحوي الغنائمَ أو يموتَ كريمُ

فجاء التجريد في قوله: ((أو يموتَ كريم)) حيث عنى بالكريم نفسه، فكأنه انتزع من نفسه كريما مبالغة في وصفها بالكرم.[٢٠] وقدر بعضهم:أو يموت منّي كريم. وللقز ويني نظر في هذا التقدير،[٢١]وفسر بعضهم هذا النظر:بأن التجريد حاصل والمعنى تام بدون تقدير، ولا قرينة عليه فلا حاجة إلى التقدير لحصول التجريدية.[٢٢] وهذا التجريد لا يدل على التشبيه، وإنما يدل على انتزاع شيء من شيء لا تشبيهه به.

ومن التجريد بلا توسط حرف قوله تعالى: على قراءة رفع ((وَرْدَةٌ)):

چ □ □ □ □ □ □ چ[٢٣] أي: فحصلت وردة، وهما شيء واحد،فيكون ذلك من قبيل التجريد بغير حرف. [٢٤]

ومن التجريد ما يكون بطريق الكناية نحو قول الأعشى:[٢٥]

يا خيرَ من يركبُ المطيَّ ولا يشربُ كأساً بكفِ من بَخِلا

فإنه جرد من كفه كف غير بخيل، والإشارة بهذا النوع إلى تجريد ما لم يقصد به التشبيه،[٢٦] أي: يشرب الكأس بكف جواد، فقد انتزع من الممدوح جوادا يشرب هو الكأس بكفه على طريق الكناية ؛لأنه إذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد أثبت له الشرب بكف كريم، ومعلوم أنه يشرب بكفه، فهو ذلك الكريم[٢٧] نحو قول أرطاة بن سهيّة:

إنْ تلقَني لا ترى غيري بناظِرَةٍ تنْسَ السِّلاحَ وتعرِفْ جَبهةَ الأسدِ

حيث كنى عن نفسه بقوله: ((وتعرف جبهة الأسد))والتقدير: وتعرف مني الأسد،[٢٨] وهو يقصد بالأسد نفسه، فانتزع من نفسه أسدا على سبيل التجريد مبالغة في شجاعته، وهذا التجريد لا يقصد به التشبيه أيضا؛ لأن ((من)) التجريدية لا تقوم على التشبيه وإنما على انتزاع صفة من أخرى للمبالغة.

ومن أساليب التجريد الأخرى:استخدام العطف على المنتزع منه، ((كقولك: مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة))، فجردت من الرجل نسمة مباركة متصفة بالبركة وعطفتَ عليه كأنه غيره، وهو هو[٢٩]. وهذا العطف أي عطف النسمة المباركة على الرجل الكريم يشعر بأنه عطف تغاير مع أن المعطوف هو الرجل الكريم نفسه على التجريد.

المبحث الثاني:التجريد البديعي في ديوان المتنبي:

أولا: التجريد بـ ((من)) الظاهرة، ومنه قول المتنبي في صباه:[من البسيط] [٣٠]

سيَصحبُ النَصلُ منّي مثلَ مَضربِهِ وينجلي خَبري عن صِمّةِ الصَّمَمِ

أي:سيصحب السيف ((منّي)) رجلا ـ يعني نفسه ـ مثل حد هذا السيف مضاء حتى ينجلي الخبر إلى الناس بأنني أشجع الشجعان. والتجريد هنا لايقوم على بناء صورة تشبيهية بين طرفين وإنما على تجريد صورة تقوم على المبالغة في اكتمال صفة الشجاعة من أخرى.وقد جاء التشبيه هنا بعد اكتمال المعنى التجريدي،أي لما جرد من نفسه رجلاً شجاعاً أتبع ذلك بتشبيه يرشح معنى الشجاعة، ومن هذا التجريد بـ ((من))الداخلة على المنتزع منه الذي لا يقوم على التشبيه قول المتنبي يمدح بدر بن عمار من قصيدة مطلعها:

في الخدِّ أنْ عزَمَ الخليطُ رحيلا .....)) [٣١] وفيها يصف قتل الممدوح للأسد بقوله:

((أمُعَفِّرَ اللَّيثِ الهِزَبْرِ.....،.....)) ثم يصف شراسة الأسد بقوله:

وَرْدٌ إذا وَرَدَ البُحَيْرَة شارباً وَرَدَ الفراتَ زئيرُهُ والنِّيلا

ثم يصف هذا الأسد على التجريد بقوله:

مُتخضِّبٌ بدمِ الفَوارسِ لابِسٌ في غِيلِهِ من لِبدَ تيْهِ غِيلا

فجرد من لبدتي الأسد غابة لكثافة الشعر الممتد على كتف الأسد يميناً وشمالا، والغابة هي اللبدتان ذاتهما على التجريد،مبالغة في وصف هذا الأسد بالضخامة والشجاعة وقوة الافتراس والاغتيال، ليناسب هذا الوصف للأسد تخضبه بدم الفوارس على التجريد.

ومن التجريد بـ((من))الظاهرة قول المتنبي في مدح فاتك:[من البسيط][٣٢]

يَرُوعُهُم ((منه)) دَهْرٌ صَرفُهُ أبداً مُجاهِرٌ، وصُروفُ الدَّهرِ تَغتالُ

فـ ((منه)) تجريد. يقول: هو كالدهر في هلاك أعدائه إلاّ أنه يأتيهم مجاهرة، والدهر يأتي أهله اغتيالا.[٣٣] وقد بالغ المتنبي بتجريده من الممدوح دهرا يغتال، والدهر هنا هو الممدوح نفسه. وفي إسناد الروع إلى الدهر تهويل آخر للدهر ـ على طريقة المجاز العقلي ـ فكأن الدهر هو الذي أخاف وافزع الأعداء. وعلاقة هذا المجاز بالتجريد:أن الإسناد يرمي بالسبب إلى غير الفاعل الحقيقي، كما أن التجريد يبعد صاحبه عن البطش والاغتيال موهما بغيره، حيث ألقى بثقل ما يحمل على الدهر لا على نفسه.

ومن التجريد البديعي بـ ((من)) ما جاء في مدح سيف الدولة عندما انتصر على البطارقة في أرض الروم، مستقصياً صور فرارهم من أرض المعركة واصفاً خيل سيف الدولة بقوله: [من البسيط][٣٤]

وأصبَحَتْ بقُرى هِنْزيطَ جائلةً تَرعى الظُّبَى في خَصيبٍ نبتُهُ اللِمَمُ

فما تَرَكْنَ بها خُلداً لهُ بَصَرٌ تَحتَ التُراب ولا بازاً لـه قدَمُ

ولا هِزبْراً لـهُ ((مِنْ دِرْعِهِ لِبَدٌ)) ولا مَهـاةً لـها من شِبْهِـها حَشَمُ

فخيل سيف الدولة في هذا المكان جائلة للغارة والقتل، والسيوف ترعى منها في مكان خصيب نبته اللمم ـ أي ـ الشَعَر، يعني: رؤوسهم، فما تركت السيوف من هو في ضعفه وخفاء مكانه كالخُلد ـ وهو ضرب من الفأر ليست له عيون ـ إلاّ أنه ذو بصر ـ يعني إنساناً ـ ولا تركن من هو كالبازي في ارتفاعه ـ يتحصن بالجبال ـ إلاّ أنه ذو قدم ـ يعني إنساناً ـ الاّ أهلكته، ولا تركت هذه السيوف بطلامن الأعداء له مكان اللبدة درع، ولا امرأة حسناء كالمهاة لها خدم مثلها، يعني نساء الأمراء والأشراف الاّ أتت عليه. [٣٥]

وضمن استقصاء حالات هروب الروم من أرض المعركة وملاحقة جيش سيف الدولة له جاء الأسلوب التجريدي بقوله:((له من درعه لبد)) لتصوير قوة العدو التي أبيدت أو تقهقرت فالروم كانوا أكثر من فريق: فريق منهم دخل المطامير والأسراب كالفأر،وفريقٌ توقل في الجبال واعتصم بها كالبازي،وفريق من أبطالهم بقي في أرض المعركة لهم مكان اللبدة درع على التجريد، ومنهم من كان يترقب عن بعد،وهم الأشراف المكنى عنهم عن طريق نسائهم ذات الخدم والحشم.كل هؤلاء خضعت رقابهم لقوة سيف الدولة. وبذلك استقصى المتنبي صور القتل وأوجه الهرب غير المنظم التي لجأ إليها ما بقي من الأعداء للنجاة بحياتهم. وهذا الأسلوب الذي صور به المتنبي هذا الموقف ورد منه في القرآن الكريم ما يصور حالة الفزع والبحث عن مهرب في قوله تعالى ﴿چ ڤ ڤ ڤ﴾ ﴿چ چ چ چ چ چ﴾ [٣٦].والفرار هنا صعب وربما لا يتمكنون منه،فالتعبير بـ ((لو...)) جاء ليصور فزع نفوسهم التي تبحث عن منفذ للهرب مهما كانت أشكاله، وقد استقصى القرآن الكريم هذه الأشكال من سهلٍ إلى صعبٍ إلى الأصعب فأما إلى ملجأ من دار أو غرفة أو حصن، وأما فرار إلى مكان لا يألفه الإنسان ويرتضيه إلا من اشتد عليه خوفه من مغارة في باطن الأرض، أو بطن جبل، أو إلى مكان أبعد في القبول والإلف، وهو ((المدَّخل)) أي: المكان الضيق الذي لا يكاد يستطيع هذا الخائف أن يقتحمه إلاّ بجهد. لذلك وردت لفظة ((يجمحون)) ـ أي: يسرعون ـ تصور في سخرية شدة الخوف عندهم وتشبثهم بأي مكان يهربون إليه. والآية أدق في تصوير الخوف وأعجب. [٣٧]

ولعل المتنبي كان يقف على بلاغة القرآن وما تصوره الآيات من معان دقيقة،إلاّ أنَّ لسانه لم يكن رطباً بهذا المعين القرآني بما يكفي لتجريد وهج الروح ومخاطبة النفس بعيدا عن أروقة الممدوحين وعروشهم،مع ما في نفسه من همة في طلب المعالي، وما في شعره الوجداني من طابع العفة والنزاهة كرغبته عن مغازلة النساء وعصيانه لهوى نفسه نحو قوله مجردا: [من الطويل] [٣٨]

عَواذلُ ذاتِ الخَالِ فيَّ حواسِدُ وإنَّ ضَجيعَ الخَوْدِ منّي لَماجِدُ

فهو الماجد الكريم الفعال النائل للشرف،فجرد من نفسه ضجيعا للمرأة الناعمة ماجداً، وأنّ هذا الضجيع الماجد هو نفسه ((المتنبي)) المحسود وقد وصف نفسه بالعفة في قوله:

يَرُدُّ يَداً عَن ثَوبِها وهُو قادِرٌ ويَعصي الهَوى في طَيفِها وَهُوَ راقِدُ

فضمير ((يرد)) للضجيع ـ ويقصد نفسه، ثم يقول وهو يخاطب غيره ويريد نفسه:

إذا كنتَ تخشى العارَ في كلِّ خُلوةٍ فلِمْ تتصبّاكَ الحِسانُ الخَرائِدُ

فينكر على نفسه صبوته إلى الحسان، فيقول مخاطبا نفسه: إذا كنت في الخلوة بهنَّ تنأى عنهن وتعف، فمالك ولعشق الحسان والنزاع إليهنَّ ؟ ودليل أنه يقصد نفسه بهذا الخطاب قوله بعد ذلك مصرحا بشخصه:

ألحَّ عليَّ السُّقْمُ حتّى ألفتُهُ ومَلَّ طَبيبي جانبي والعوائِدُ

فساق الشاعر معاني العفة باستخدام التجريد بـ ((من)) الظاهرة للمبالغة في كمال هذه الصفة عنده، واقتضى سياق العفة وعلو النفس أن يبقى مع التجريد لكن على طريقة إخلاص الخطاب لغيره وهو يريد به نفسه، يعاتبها ويحاورها ألاّ تنزع إلى عشق ينأى بها عن العفة.

ومن هذا الجمع بين خطاب الشاعر نفسه على التجريد كأنها غيره والتجريد بـ ((من))الظاهرة قول المتنبي وكانت له ـ فرس أنثى ـ تسمى الجُهامة، ولها مُهر يسمى الطُخرور،فأقام الثلج على الأرض بأنطاكية وتعذر المرعى على المُهر فقال [من الرجز][٣٩]

كأنَّما الطُّخرورُ باغي آبقِ يأكلُ من نبتٍ قصيرٍ لاصقِ

كقَشْرِكَ الحِبْرَ عن المَهارِقِ أرودُهُ منه بكا لشُوذانِقِ

فيخاطب الشاعر نفسه في قوله((كقشرك الحبر)) ويجرد من مهره مهرا آخر يشبه الصقر. يقول:إنه لإعواز المرعى كان هذا الطخرور يلتمس العشب من ههنا و ههنا، فلا يثبت في مكان واحد ؛ كأنه يطلب هاربا؛ لتردده في طلب المرعى. وشبه رعي مهره بالنبات اللاصق بالأرض بقشر الكاتب الحبر عن الصحيفة. والضمير في ((أروده)) للنبات وضمير ((منه)) للمهر. والمعنى أطلب الكلأ والنبات من هذا المُهر بمُهر كالشوذانق ـ أي الصقر أو الشاهين ـ لخفته، يريد مُهرهُ على سبيل التجريد.[٤٠] وفي العبارة حذف،أي: أروده منه بمُهر كالشوذانق، والمُهر هنا هو الطخرور نفسه على طريقة التجريد في انتزاع أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة، صح معه أن يجرد الشاعر من ذلك المهر مهراً آخر مبالغة في كمال خفة المهر وهو يلتمس العشب. وفي البيت الثاني أسلوبان من أساليب التجريد:

الأول: مخاطبة الشاعر نفسه في قوله: كَقَشرِكَ الحبرَ.....، بدليل قوله بعد ذلك:((أروده)) بالرجوع إلى ذكر نفسه صراحة.والثاني:التجريد بـ ((من))، وقد خرجت هاتان الصورتان التجريديتان من بين تشبيهات ثلاثة غريبة احتاج الشاعر فيها إلى ألفاظ غريبة تناسب هذه التشبيهات مرة، وبحر الرجز الذي بنى الشاعر قصيدته عليه مرة أخرى، على ما في هذا البحر من خفة وسرعة نابعتين من تكرار تفعيلة هذا البحر ـ مستفعلن ـ وهذه الخفة تناسب خفة المهر وهو يطلب الكلأ، فلما جاءت لفظة ((الطخرور)) غريبة في أول التشبيه تابع الشاعر ذلك في الألفاظ الأخرى نحو: ((باغي)) وكان يمكنه أن يقول: ((طالب))، وقال ((آبق)) وكان يمكنه أن يقول ((هارب))،وكذلك ((المهارق)) وكان يمكنه أن يقول ((الصحائف)) و((الشوذانق)) ويمكنه أن يقول ((الشاهين أو الصقر)) لكنه لما بدأ بلفظ غريب تابع تلك الغرابة في الألفاظ بعده. وهذا أسلوب عربي عريق ورد منه في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾[٤١] ((فأتى بأغرب ألفاظ القسم، وهي التاء ؛ فإنها أقل استعمالاً، وأبعد من إفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو، وبأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء، وتنصب الأخبار، فإن ((تزال)) أقرب إلى الإفهام، وأكثر استعمالا منها، وبأغرب ألفاظ الهلاك، وهو الحرض ـ الحزن أو العشق الذي يؤدي إلى سقم وفناء ـ فاقتضى حسن الوضع في النظم أن يجاور كل لفظ لفظاً من جنسه في الغرابة توخياً لحسن الجوار ورغبة في ائتلاف المعاني بالألفاظ.[٤٢] ثم ننظر كيف ائتلف معنى الحرض ـ وهو السقم من الحزن ـ مع الهلاك بعده. وبذلك تناسبت ألفاظ الآية على أحسن وجه. فلا اعتراض على غرابة ألفاظ هذه الصورة التجريدية عند المتنبي. وإنّ الحذف في قوله ((بكالشوذانق)) حسّن من الصورة التجريدية وخفف من ثقلها وغرابتها لروعة المعنى التجريدي الذي جاءت عليه، فقوله: ((بكالشوذانق)) أي بمُهر كالصقر، وهذا المحذوف ـ المُهر ـ هو الطخرور نفسه على سبيل التجريد.

ومنه:يمدح سيف الدولة ويهنئه بعيد الأضحى سنة ٣٤٢ هـ بقصيدة مطلعها:[من الطويل][٤٣]

لِكُلِّ امْرِئٍ مِن دَهْرِهِ ما تَعَوَّدا وعاداتُ سيفِ الدولةِ الطَعْنُ في العِدا

يقول فيها مجرداً وقد سرى سيف الدولة إلى نهر جَيْحان يلحق بالعدو:

عَرَضتَ له دون الحياةِ وطَرفِهِ وأبصرَ سيفَ الله ((منكَ)) مُجرّدا

يقول:ظهرت ـ ياسيف الدولة ـ للعدو،واعترضت بينه وبين حياته ؛ لأنه أيقن بحلول منيته، وملأت عينه منك وشغلتها بتوقع بطشك، فلم ير منك إلاّ سيفاً جُرّد عليه،[٤٤] وهذا السيف هو الممدوح نفسه لا على التشبيه، وإنما على المبالغة في انتزاع صفة من صفة آخرى هي نفسها الأولى. يقول البرقوقي: ((وقوله: ((منك)) تجريد)). [٤٥] ولم يقصد المتنبي بخطاب الممدوح فائدة الخبر، وإنما كان تعبيره على طريقة لازم الفائدة، فالممدوح عارف بآليات الحدث، ولكن المتنبي استطاع أن يخبره الخبر مصورا كما تتصوره نفس هذا الشاعر لا كما يتصوره الممدوح، وبذلك أضاف المتنبي معنى جديدا امتزجت فيه فائدة الخبر بلازمها.ومن بين هذا التعبير خرج أسلوب التجريد من نفس الشاعر من غير تكلف ولا تصنع، وإنما ألقى بالقول على سجيته وفطرته.

وكذلك ورد التجريد البديعي بـ ((من)) في مدح المتنبي لسيف الدولة ويذكر نهوضه إلى ثغر الحدث لما بلغه أن الروم أحاطت به، وذلك في جمادى الأولى سنة ٣٤٤هـ يصور خوف الروم،فكثيرا ما تحدث الشعراء عن أثر الخوف في النفوس، ولكن قلّ أن نجد من استطاع أن يجسد هذه الظاهرة كما فعل المتنبي بقوله: [من الخفيف][٤٦]

بَسَطَ الرُعْبُ في اليَمينِ يَميناً فَتَوَلَّوْا وفي الشِّمالِ شِمَالا
يَنفُضُ الرَوْعُ أيدياً لَيْسَ تَدري أسُيُوفاً حَمَلْنَ أم أغلالا
وَوُجُوهاً أخافَها مِنكَ وَجْهٌ تَرَكَتْ حُسنَها لَهُ والجَمالا

فقد وقع التجريد هنا ـ أولا ـ في: ((بسط الرعب في اليمين يمينا)) وثانيا في قوله: ((ووجوها أخافها منك وجه))، والتعبير الأول: يحتمل التجريد على ما جاء في تفسير ابن جني لقول المتنبي: بسط الرعب في اليمين يمينا.....وفي الشمال شمالا بقوله تعالى(إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ [٤٧] ونقل البرقوقي شرح الإفليلي لهذا التعبير بأن معناه:((بسط الرعب في أيديهم أيدياً مثلها تمنعها من البطش فولوا مخذولين)).[٤٨] وهو المعنى الذي قال به ابن جني في استشهاده بالآية المذكورة. وقد لا يحتمل التجريد على تفسير الو احدي لهذا التعبير بقوله:((أي شاع الخوف فيهم شيوعا عاما. وكأن الخوف بسط يمينه في ميامن عسكرهم، وشماله في مياسرهم حتى انهزموا)).[٤٩]، واحتمال التجريد أصوب، فقد جرّد من أيدي الأعداء أيديا ـ على التخييل للمبالغة، وهذه الأيدي المرعوبة المخذولة تمنع الأولى من التصدي لتخاذلها وهي نفسها الأولى، ويؤكد هذا المعنى ما بعده: فقد أثّر فيهم الخوف حتى ارتعدت أيديهم فلا تقدر على الضرب كأن السيوف في أيديهم أغلال لها. قال العكبري: ((والمعنى: ينفض الفزع من أيديهم السلاح فيسقط، ويسلبهم إياه الذعر فيذهب، حتى كأن سيوفهم في أيديهم أغلال تملكها، وموانع تمنعهم من التصرف بها، وهو من قول جرير في الفرزدق:

ضربتَ به عند الإمام فأرعِشَتْ يداكَ فقالوا مُحْدِثٌ غيرُ صارم))[٥٠]

وفي البيت الثالث جاء التجريد في قوله ((ووجوها أخافها منك وجه)) إذ أنتزع من الممدوح وجها هو نفسه وجه الممدوح على التخييل والإيهام قصد المبالغة.

ومنه في مدح سيف الدولة وقد جرد الشاعر من الممدوح قرما ـ سيدا ـ بقوله: [من الوافر][٥١]

وَلكِنّا نُداعِبُ مِنْكَ قَرْماً تَراجَعتِ القُرومُ لهُ حِقاقا

وهذا البيت متعلق بما قبله وهو قوله:

أقامَ الشِّعرُ يَنْتَظِرُ العَطايا فلمّا فاقتِ الأمطارَ فاقا
وزنَّا قيمةَ الدهماءِ مِنْهُ وَوَفَّينا القيانَ به الصَّداقا

يقول: بيد أني قلت ذلك ـ أي وزنا قيمة الفرس والجارية من الشعر ممازحة، فنحن نداعب منك قرما ـ الفحل من الإبل ـ أي سيدا يتصاغر بجنبه كل سيد حتى يصير كالحِقَّة ـ الصغيرة من النوق ـ في جنب الفحل الكريم. [٥٢] فجرد من الممدوح قرما هو الممدوح نفسه. و((له)) في قوله ((تراجعت القروم له.....)) مبالغة في إيهام أن المخاطب غيره. وإذا كانت لفظة ((نداعب)) ربما لم تأخذ موقعها اللائق في مخاطبة سيف الدولة، فإن الصورة التجريدية احتوت المعنى، وهضمت هذه اللفظة ضمن أسلوب تجريدي فخم يقوم على العفوية وجلب الانتباه.

ومن التجريد البديعي بـ ((من)) قوله في مدح سيف الدولة: [من الكامل] [٥٣]

قمراً نرَى وسحابتينِ بموضعٍ مِنْ وجههِ ويمينهِ وشمالهِ

فجرد من وجه الممدوح قمرا، ومن يمينه وشماله سحابتين، مبالغة في اكتمال الصفات. وهذا التعبير ليس كقولهم: وجهه كالقمر، ويمينه وشماله كالسحابتين، وإنما على تجريد صفة منتزعة من صفة. أي كأنه يرى بدل الوجه قمرا، وبدل اليمين والشمال سحابتين على التجريد المتخيل الذي يوهم بالحقيقة، على نحو ما استشهد به الحموي في باب التجريد[٥٤] في مدح العميان للنبي صلى الله عليه وسلم ـ في بديعيتهم ـ بتجريدهم من وجهه الشريف بدراً بقولهم:

مِنْ وجهِ أحمدَ لي بدرٌ وَمِن يدِهِ بحرٌ ومن لفظهِ درٌّ لمنتظمِ

وعلى طريقة((من))التجريدية الظاهرة قول المتنبي من قصيدة يمدح بها كافوراً[من الطويل][٥٥]

فَزارَكَ مِنِّي مَنْ إليكَ اشتياقُهُ وفي الناس إلاّ فيكَ وحدكَ زُهْدُهُ
أنا اليومَ من غِلمانهِ في عَشيرَةٍ لنا والدٌ مِنْهُ يُفدِّيهِ وُلـــدُهُ

أي زارك مني رجلٌ اشتياقه كلُّه إليك أنت – يعني نفسه من باب التجريد. ولعل الأخذ بهذا الأسلوب في الخطاب هو إيهام أنّ غير الشاعر يخاطب الممدوح تحررا من مغبة ما يقال عن المبالغة في الاشتياق أو ابتعادا عن لغة التصريح ليبالغ في الوصف مما تدّعيه نفسه وهو يريدها أن تبقى كبيرة، فلحظة

الاشتياق الزائد عن حده جرّدت منه ما يبعد عنه مبالغته في ادعاء الاشتياق المزعوم،ولكن عندما يكون الأمر على غير هذا يصرح بنفسه قائلا: ((أنا اليوم من غلمانه في عشيرة)) ثم يجرّد من الممدوح ممدوحا آخر كأنه غيره وهو نفسه بقوله: ((لنا والدٌ ((منه)) يفدّيه وُلْدُهُ)) فعندما كان الأمر في الأول يخصه أخفى نفسه، ولما كان الأمر في الثاني يخص الممدوح صرح بنفسه وانتزع من الممدوح ممدوحاً آخر تكريما له، فجرد من الممدوح الوالد والدا كأنه غيره مبالغة في كمال الصفة. كما قيل: ((لي من فلان صديق حميم)). ويقول ابن فورجّة ((كان يجب أن يقول: في عشيرةٍ لهم والدٌ منه. إلاّ أن له عادة في قطع الكلام الأول قبل استيفاء الفائدة وإتمام الخبر، وقد فعل ذلك في كثير من شعره)). (٥٦)

ونحو هذا التجريد قوله في كافور، وقد استأذنه المتنبي في المسير إلى الرملة ليخلص مالا كتب له به، وإنما أراد أن يعرف ما عند كافور في مسيره، فمنعه وحلف عليه أن لا يخرج، وقال له: نحن نوجه من يقضيه لك، فقال المتنبي: [من الوافر] (٥٧)

إذا سِرْنا على الفُسطاطِ يوماً فلقنّي الفوارسَ والرِّجالا
لِتَعلَمَ قَدْرَ مَنْ فارقتَ ((منّي)) وأنكَ رُمتَ مِن ضَيْمي مُحالا

أي: إذا سرنا عن مصر فابعث ورائي الخيل والرجال ليردوني إليك، فأنا بطل شجاع لا يقبل الضيم، وإنّ فوارسك ورجالاتك لا يقدرون على ردي إليك. (٥٨) وسلك المتنبي أسلوب التجريد في قوله:((لتعلمَ قدر من فارقتَ مني)) للمبالغة في شجاعته، إذ جرّد من نفسه شجاعاً آخر، خرج على كمال استعداده مقداما، وهذا الشجاع الخارج هو المتنبي نفسه.

وفي هذين البيتين تداعت أصوات معينة لعلها ترمز إلى عدم ارتياح المتنبي لكافور. نحو تكرار صوت السين في البيت الأول،والميم في البيت الثاني لما أخرجته هذه الأصوات من نبرة تنبه على قلق في نفس الشاعر،وتكرار صوت الميم والنون فيهما أكثر تصويراً لشدة الأمر على نفس المتنبي، لاسيّما في قوله:((...مَنْ فارَقتَ مِنّي))بهذه النبرة من الشدة والعنف ضمن أسلوب تجريدي بديع، ثم تستمر تأثيرات الميم في قوله:((وإنَّكَ رُمْتَ من ضَيمي مُحالا)) فاتسقت الألفاظ جميعاً في رسم صورة عدم الإرتياح وقلق النفس وانزعاجها.

وعلى هذه الطريقة التجريدية مدحه لابن العميد واصفًا سيفا قلده إيّاه بقوله:[من الخفيف](٥٩)

قَلَّدَتْني يَمينُه بِحُسامٍ أعقَبَتْ ((منهُ)) واحداً أجدادُه

فالتجريد جاء في قوله: ((أعقبت منه واحداً أجداده)) يقول: قلدني سيفا ماضيا لم تعقب أجداده ـ أي معادنه ـ منه، فلم تلد من نوعه إلاّ واحداً، هو هذا السيف نفسه،(٦٠) مبالغاً في كرم الممدوح،فنوادر هداياه تدل على ذلك،فجرّد من هذا السيف مثله على التخييل، فالمجرّد ـ وهو الواحد ـ هو المجرد منه نفسه وهو السيف الذي لم يطبع مثله ولا نظير له.

وعلى هذه الطريقة جاء قوله في رثاء جدته من قصيدة مطلعها: [من الطويل](٦١)

ألا لا أُري الأحداثَ حَمْداً ولا ذمّا فما بَطشُها جَهلاً ولا كفُّها حِلْما

ومن هذه الصلابة أمام الأحداث جرّد المتنبي من نفسه رجلا شجاعاً بقوله:

لَئِنْ لَـذَّ يومُ الشامِتينَ بِيومِها فَقَد وَلَدَتْ منِّي لأنفِهِمِ رَغْما

فاكتملت شجاعة المتنبي بتجريده من نفسه رجلاً شجاعاً، فـ((منّي))للتجريد،والمعنى: ولدت مني رجلاً شجاعاً ـ هو المتنبي نفسه ـ يذلهم حتى يلصق أنوفهم بالتراب، وهذا التعبير كناية عن الإذلال والقهر،ودلالة إسناد لذة الشماتة إلى((اليوم))إسناداً عقليا مجازياً ليكون يوم الشامتين كله شامتا بموتها،

المجاز العقلي	التجريد
تحويل اليوم إلى شماتة	المبالغة في الشجاعة

فكان المعنى الذي دل عليه المجاز العقلي مدعاة للتجريد، كالمقدمة له، لبناء صورة تجريدية قائمة على التخييل القادر على إثارة النفس وخلق معانٍ دقيقة لا يمكنها من الخروج من حيزها في العقل لولا

الخيال الذي ينسقها فيقرب بعيدها ويربط حقائقها المفككة ويبعد عن دائرة الذهن ما يتصور أنه وهم وعبث.

ومنه قوله يمدح عمر بن سليمان الشرابي، وهو يومئذ يتولى الفداء بين العرب والروم: [من الطويل][٦٢]

يَشُقُّ بـلادَ الـروم والنقعُ أبلَـقٌ بأسيافـهِ والجـَوُّ بالنقـعِ أدْهَـمُ

إلـى المَلـِكِ الطاغي فكم من كتيبةٍ تُسايرُ ((منه)) حتفَهَا وهي تعلـَمُ

فـ ((منه)) في قوله:((تساير منه حتفها....)) تجريدية. فقد جرّد المتنبي من الممدوح حتفاً يساير كتائب الروم،فالحتـف هوالممدوح نفسه مبالغة وتهويلاً لجو المعركة. وقد مهّد المتنبي لتصوير هذا الهول بما يناسبه،فهناك ـ في البيت الأول ـ نوعان من الغبار فوق أرض المعركة:غبار أبلق من تمازج الغبار الأسود مع بريق السيوف الأبيض، يعلوه غبار أدهم كثيف لاحتدام المعركة،ووسط ذلك كان الحتف ممثلا بالممدوح حاضراً، فكم من كتيبةٍ للروم تعارض الممدوح في مسيره إليها، وهي تعلم أن هذا القائد هو حتفها .

وجاءت ((من))على التجريد في قول المتنبي ـ وقد نزل في أرض ((جِسمى)) ـ برجل يقال له وردان بن ربيعة الطائي، فاستغوى وردان عبيد أبي الطيب، فجعلوا يسرقون له من أمتعته فلما شعر أبو الطيب بذلك ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه، وأمر الغلمان فأجهزوا عليه، ثم التفت يهجو وردان بقوله: [من الوافر][٦٣]

مَرَرنا منهُ في جِسمى بِعبْدٍ يَمُجُّ اللـّؤمَ مَنْخِرُهُ وفوهُ

أي مررنا منه بعبدٍ قد امتلأ لؤماً، حتى لو كان اللؤمُ مجسما لسال من منخره وفيه، واستعار للؤم منخراً وفماً؛ لأن أثر اللؤم يظهر على المنخر، وكذلك النطق يظهر على اللسان. [٦٤] فـ ((من)) في قوله: ((مررنا منه)): تجريدية،والهاء يعود على المهجو، فجرّد المتنبي من المهجو ((وردان)) عبداً هو نفسه وردان، وقد حقَّر المهجو((عبد))فجعله نكرة،وكل ذلك مبالغة في لؤم هذا الرجل وسوء فعلته. ولعل استخدام أسلوب التجريد هنا هو أنّ انتزاع عبد لئيم من هذا الرجل يعطي صورة مجسدة للؤم المتمثلة بهذا العبد وإظهار لؤم نفسه.

ومن التجريد بـ ((من)) الظاهرة قوله يمدح الحسين بن إسحاق التنوخي: [من الطويل][٦٥]

مُـذِلُّ الأعـزاءِ المُعِزُّ وإن يَئِن بـِهِ يُتمُهُم فالمُوتِمُ الجابرُ اليُتْمِ

وإنْ تُمسِ داءً في القلوب قناتُهُ فمُمْسكُها منه الشِّفاءُ من العُدمِ

يقول: هو مذل الأعزاء، ومعز الأذلاء ؛ يرفع قوما ويضع آخرين، ثم قال: وإن حان يتمهم ـ أي يتم الأعزاء ـ فهو الموتم، وهو في الوقت عينه الجابر اليتم. يعني: أنه يقتل الآباء ثم يحسن إلى أبنائهم الأيتام ويكفلهم بنعمته. [٦٦] فالتجريد جاء في قوله: ((فممسكها منه الشفاءُ من العدم))، ((فمنه)) للتجريد والمعنى: إن أحدث بقناته في قلوب المطعونين داءً، فإن الذي أمسكها هو الذي يشفي من الفقر بعطائه،فالذي أدوى القلوب هو الممدوح نفسه، وهو نفسه الذي يذهب الفقر. فبالغ في هذا الوصف عن طريق استخدامه أسلوب التجريد لاستكمال صورتي الشجاعة والرحمة عند الممدوح.

ثانيا: التجريد بـ ((من)) المقدّرة، ومنه قوله في مدح سيف الدولة وفتيانه: [من الطويل][٦٧]

وكُلُّ فتًى للحرب فوقَ جبينهِ من الضَّرب سَطرٌ بالأسنّة مُعجَمُ

ثم يجرد من الفتى أسداً هو الفتى نفسه بقوله:

يَمُدُّ يَدَيْه في المفاضة ضيغمٌ وعينيهِ من تحت التريكةِ أرقـَمُ

على تقدير: ((منه ضيغم))،وهذا الضيغم هو الفتى نفسه لا على التشبيه وإنما على المبالغة لاستكمال صورة الشجاعة نحو قولهم: ((إذا لقيت فلاناً لقيت منه الأسد)) وقوله: ((وعينيه من تحت التريكة أرقم)) أراد: ويمد عينيه منه ـ أي من الفتى ـ أرقم، أي ويفتح عينيه، إلاّ أن المتنبي حمل التعبير على باب ((علفتها تبنا وماءً باردا))، [٦٨] فالضمير في يديه وعينيه للفتى، وضيغم فاعل يمد. والتعبير جاء على التخييل للمبالغة،فإذا مد هذا الفتى الشجاع يده في درعه، فقد مدها منه أسد ـ هو الفتى نفسه، وإذا فتح عينيه من تحت التريكة، ـ الخوذة ـ فقد مدّهما منه أرقم ـ هو الفتى نفسه ، في حدة النظر وتوقد العينين. ولم يتوضح أن الضمير في يديه وعينيه للفتى إلاّ بما قبله. فقد قدم المتنبي لهذا التجريد صورة رائعة لشجاعة فتية سيف الدولة، فأثر الضرب على الوجوه عنوان لقاء العدو وجها لوجه، والطعن عنوان

الإلتحام. وشبه الشاعر أثر الضرب بالسطر لطوله، وأثر الطعن بالإعجام ـ النقط ـ مناسبة للفظة السطر. ولعل تصور السطر والإعجام كان اعتمالاً اقتضته صناعة الشعر؛ فلعله أراد أن يجعل القافية ((معجم)) ـ وهي اللفظة المناسبة لقافية القصيدة ـ فاخترع على إثرها في لمحة واعية قضية السطر والنقاط، وهذه الحالة يلجأ إليها المتنبي في بعض ما ينظم،فيناسب بين الألفاظ ويقدم ويؤخر ويحذف ويذكر، وغير ذلك، استكمالا للنظم،وهذا يصدر عن وعي حاذق غير مخل أعانه عليه أسلوبه الشعري، وما لديه من قدرة على تصوير المعنى بإيجاز.

وتقدر((من)) أيضًا في قول المتنبي من قصيدة يعزي بها سيف الدولة عن عبده((يماك)):[من الطويل][٦٩]

وكنتُ إذا أبصرتُه لكَ قائمًا نَظرتُ إلى ذي لِبدَتين أديبِ

أي: إذا رأيته قائما بين يديك، رأيت ((منه)) أسداً، فانتزع من هذا العبد الشجاع شجاعاً آخر يتخيل للناظر أنه أسد مفترس ـ لشجاعته ـ لا رجل.

ومن التجريد بـ ((من)) المقدرة، مدح المتنبي سيف الدولة وذكره بناء مَرّعَش سنة ((٣٤١هـ)) وفيها يذكر انهزام الأعداء أمام سيف الدولة بقوله [من الطويل].[٧٠]

وَلَم تَفتَرِقْ عنهُ الأسنَّةُ رَحمَةً ولم يتركِ الشامَ الأعادي لَهُ حُبّا

ثم يعلل هزيمة الأعداء وجلائهم عن الشام بقوله مجردا من الممدوح رجلا كريم الثناء:

ولكِن نَفاها عَنْهُ غيرَ كريمةٍ كريمُ الثَّنا ما سُبَّ قَطُّ ولا سَبَّا

فالذي نفى الأسنة عن سيف الدولة في حال كونها غير كريمة كريم الثنا، وكريم الثناء هو سيف الدولة نفسه، والمراد نفي أصحابها فقوله: كريم الثنا: تجريد على إضمار محذوف، أي:نفاها ((منه)) رجل كريم الثنا[٧١].

جاء في شرح العكبري: ((يريد أن الأعداء لم ينهزموا رحمة له،ولا أجلوا عن الشام محبة له، وإنما فعلوا ذلك فرقاً منه، كقول مروان بن أبي حفصة:

وما أحْجَمَ الأعداءُ عنكَ بَقِيّةً عليكَ ولكنْ لم يَرَوا فيكَ مَطْمَعا

وبيت هذا أحسن ـ أي بيت مروان ـ لأنه أتى المعنى فيه، وأبو الطيب بين علة الانهزام في البيت الذي بعده))،[٧٢] فكان استدراك المتنبي في البيت الثاني إتماماً للمعنى المراد.

النوع الثاني: الباء التجريدية:

التجريد بـ ((باء)) المعية والمصاحبة في المنتزع. نحو قول الشاعر: [من الطويل] [٧٣]

وشوهاءَ تعدُو بي إلى صارخِ الوَغى بمستلئِمٍ مثلَ الفنيقِ المُرحَّلِ

وعلى هذا الأسلوب جاء قول المتنبي في وصفه للخيل: [من البسيط] [٧٤]

تَهْوي بمُنجرِدٍ ليستْ مَذاهِبُهُ لِلبُسِ ثوبٍ ومأكولٍ ومشروبِ

فقوله:((بمنجردٍ)) يعني: نفسه،والمنجرد:الجاد في الأمور الماضي فيها لا يرده شيء. يقول: إن هذه الخيل تسرع برجل جاد ليست أسفاره طلاباً لمثل كسوة أو طعام وإنما طلبته المعالي.[٧٥] ولفظة تهوي تعطي بعداً آخر لأندفاع هذا الجاد نحو الأمور العظيمة فقوة الصورة لا تظهر عن طريق العبارة التجريدية حسب وإنما بما يجاورها من تأليف الألفاظ ومعانيها.

ومن الباء التجريدية أيضاً قول المتنبي في مدح شجاع بن محمد الطائي:[من الكامل][٧٦]

بَرَّحْتَ يا مَرَضَ الجُفون بمُمْرَضٍ مَرِضَ الطبيبُ له وعِيدَ العُوَّدُ

((يريد بالممرض نفسه، أي إن الجفون المراض، أي الذوابل قد أمرضته بهواها، واشتد عليه ما يقاسي منها، حتى مرض طبيبه وزوّاره من شدة إشفاقهم عليه)).[٧٧] و ذهب ابن جني إلى أن المعنى:أبرحت:تجاوزت الحد، ويعني بالممرض جفنها،و((مرض الطبيب وعيد العود)) مثل ولا طبيب هناك ولا عوّد أي تجاوزت يا مرض الجفون الحد حتى أحوجته إلى طبيب وعوّد، يبالغ في شدة مرض جفونها.[٧٨] وقال ابن فورجة ـ ينتقده ـ: أبرح ابن جني في التعسف، ومن الذي جعل مرض الجفون متناهياً، وإنما يستحسن من مرض الجفون ما كان غير مبرح، كقول أبي نواس: [٧٩]

ضعيفة كرِّ اللحظِ تَحسَبُ أنها قريبةُ عهدٍ بالإفاقة من سُقمِ

... والدليل على كون الممرض هوالمتنبي قوله بعد:

فله بنو عبد العزيز بن الرضا.....)) [٨٠] فله: أي للمرض المذكور ـ وهو المتنبي وكلام ابن فورجة أدل، فمعنى مرض الجفون في البيت يراد به فتورها وذبولها وهذا الحسن هو الذي برّح وأتلف المهج.

وعلى هذه الطريقة من التجريد جاء قول المتنبي: [من الخفيف][٨١]

وعُيونِ المَها ولا كعُيُونٍ فتَكَتْ بالمتيّمِ المَعمُودِ

((وعنى بالمتيم المعمود نفسه))[٨٢]

ومنه ما جمع المتنبي في بيت واحد بين التجريد (بالباء) وبـ (من) في قوله:[من الكامل][٨٣]

لمّا سَمِعتُ بِهِ سَمِعتُ بواحِدٍ ورأيتُه فرأيتُ ((منهُ)) خَميساً

فقوله:((بواحدٍ)) يعني الممدوح نفسه الذي يعود على ضمير ((به))وفي قوله:((فرأيت منه خميسا)) جرد الشاعر من الممدوح خميسا ـ أي جيشا ـ هو الممدوح نفسه. وتنكير المجرد ـ واحد ـ للتعظيم. وحسّن التجريد هنا ما جاء من تناسب صوتي بين: سمعت به سمعت، ورأيته فرأيتُ. ثم تقديم السمع على البصر فيهما، على طريقة القرآن الكريم في تقديم السمع على البصر. غير أن التقديم والتأخير في القرآن الكريم هو ظاهرة أسلوبية يختص بها الأسلوب القرآني. أما تقديم السمع على البصر في الشعر فقد يقتضيه النظم دون الأخذ به طريقة أسلوبية.

النوع الثالث: (في) التجريدية الداخلة على المنتزع منه:نحو قول المتنبي: [من البسيط][٨٤]

قد حِرْنَ في بشَرٍ في تاجِهِ قَمَرٌ في دِرْعِه أسدٌ تَدْمَى أظافِرُهُ

فلفظة ((قمر)) في قوله: ((في تاجه قمر)) بنيت على الاستعارة، أي في تاجه وجه كالقمر على حذف المشبّه ((المستعار له)) أما قوله: ((في درعه أسدٌ)) فعلى أسلوب التجريد حيث أخرج من درعه أسداً لشجاعته، والأسد هو الممدوح نفسه لا على التشبيه وإنما على المبالغة في استكمال الشجاعة عنده.

ومنه قوله من قصيدة يمدح بها كافوراً بعد أن فارق سيف الدولة ورحل إلى دمشق، وكاتبه كافور الأخشيدي بالمسير إليه، فلما ورد مصر أخلى له داراً، وخلع عليه،وحمل إليه آلافاً من الدراهم،فقال يمدحه وأنشده إياها في جمادى الآخرة سنة ((٣٤٦هـ)) ومطلعها:

كفى بك داءً.....[من الطويل] [٨٥] وفيها يقول مجرداً:

إذا الهِنْدُ سَوّت بين سَيْفَيْ كَريهَةٍ فَسَيفُكَ ((في كَفٍّ)) تُزيلُ التَّساوِيا

يقول الو احدي: ((إذا طبعت الهند سيفين فَجَعَلَتْهُما سواءً في الحِدّة والمضاء، فالسيف الذي في كفِّكَ يكون أمضى ؛ لأن كفَّك تزيل تساويهما بشدة الضرب))،[٨٦] فالمتنبي جرّدَ كفاً من كف الممدوح، كأنها غيرها، وهي نفسها كفه لكمال شجاعته وشدة ضربه وبأسه.وفضّل عبد القاهر هذا البيت على قول البحتري:[٨٧]

فلا تُعْلِيَنْ بالسيف كلَّ غَلائِه لِيَمضي فإنَّ الكفَّ لا السيفَ تقطعُ

فيرى أنَّ البحتري قد أتى بالمعنى غفلاً ساذجا، والمتنبي أخرجه في صورة تروق وتعجب.[٨٨]

النوع الرابع: التجريد بلا توسط حرف، كقول قتادة بن مسلمة الحنفي: [من الكامل]

فلَئِنْ بقيتُ لأرحلنّ بغزوةٍ تحوي الغنائمَ أو يموتَ كريمُ

يعني بالكريم نفسه، فكأنه انتزع من نفسه كريماً مبالغة في كلامه،ولذلك لم يقل: ((أو أموت)).[٨٩]

ومنه قول المتنبي في مدح سيف الدولة: [من المتقارب][٩٠]

إذا حازَ مالاً فقد حازَهُ فتًى لا يُسَرُّ بما لا يَهَبْ

((وفتى:فاعل حازه من باب التجريد. يقول:إذا جمع مالاً لايسرمنه بما يدّخر،ولكن بما يهب)).[٩١] فالفتى هو سيف الدولة نفسه.

ومن تجريد فتى من الممدوح أيضا قوله وهو يصف خيل المعركة: [من الوافر][٩٢]

يُقدِّمُها وقد خُضِبَتْ شَواها فتًى ترمِي الحُروبُ بِهِ الحُرُوبا

ويعني بالفتى: نفسه،ودليل هذا أنَّ المتنبي في مدحه لعلي بن محمد بن سيار،كان يجعل من نفسه مقاتلاً يتقدم الحرب ويشارك الممدوح شجاعته وبسالته،فالتصريح بشخصه يسود جو القصيدة فقوله في مطلع القصيدة:[٩٣]

ضُروبُ الناسِ عُشّاقٌ ضُروبا فأعذرُهُمْ أشفُهُمُ حَبيبا

تمهيد للتصريح بنفسه بأنه عاشق للحروب بقوله بعد المطلع:

وما سَكَنَي سِوى قَتْلِ الأعادي فَهل من زَوْرَةٍ تَشفي القُلوبا ؟

وقوله:

كأنَّ خُيولَنا كانَتْ قَديماً تُسَقَّى في قُحوفِهِمِ الحَليبا
فَمَرَّتْ غيرَ نافِرَةٍ عَلَيهِم تدوسُ بنا الجماجِمَ والتَّريبا

ويستمر المتنبي على التجريد ولكن على طريقة خطابه نفسه كأنه يخاطب غيره بقوله:

شديدُ الخُنزُوانَةِ لا يُبالي أصابَ إذا تَنمَّرَ أم أُصِيبا

بدليل قوله مصرحاً بشخصه:

أعَزْمِي طالَ هذا الليلُ فأنظُرْ أمِنْكَ الصُّبْحُ يَفْرَقُ أنْ يَؤوبا ؟

وقوله يتخلص إلى الممدوح:

ولَمَّا قلَّتِ الإبِلُ امْتَطَيْنا إلى ابنِ أبي سُلَيْمانَ الخُطوبا

ومن هذا النوع أيضاً قوله: [من الكامل] (٩٤)

عَذَلُ العَواذِلِ حَوْلَ قَلْبِ التَّائِهِ وَهَوَى الأحِبَّةِ مِنْهُ في سَوْدائِهِ

((يعني بالتائه نفسه.... يقول: إنّ لوم اللوّام حول قلبي وهوى الأحبة قار في سويدائه، وإذاً لا يصل اللوم إلى قلبي.وقد روي بدل قلب التائه قلبي التائه،على أن التائه صفة قلبي،وليس هناك؛لأنه لا يقال تاه قلبه)). (٩٥) فجاء الكلام على التجريد وليس على الصفة والموصوف.

ومنه قوله: [من الكامل](٩٦)

وأنا الذي اجْتَلَبَ المَنيّةَ طَرْفُهُ فمَنِ المُطالَبُ والقَتِيلُ القاتِلُ
تَخلُو الدِّيارُ من الظِباءِ وعِندَهُ مِنْ كُلِّ تابِعةٍ خَيالٌ خاذِلُ

((يقول:أنا جلبت المنية لنفسي بنظرة عيني فأنا القتيل وأنا القاتل، وإذا كان القتيل هو القاتل فمن يطالب بدمه)) كقول دعبل الخزاعي:(٩٧)

لا تَأخُذا بظُلامتي أحدًا قَلبي وطَرفي في دمي اشْتركا

وضمير ((عنده)) للذي اجتلب المنية ـ في البيت السابق ـ يعني نفسه. (٩٨)

قال الو احدي: ((وعنده)) الضمير فيه للذي وعنى به نفسه. والخاذل المتأخر. يقال ظبية خاذل وخذول إذا تأخرت في المرعى عن صواحبها. يقول: تخلو الديار من النساء الحسان وعندي من كل صغيرة منهنّ خيال يأتيني كأنه تأخر عنهنّ، وجعلها تابعة، يريد بذلك صغر سنها كما تتبع الظبية أمها)).(٩٩) وتستتر المتنبي بهذه الطريقة التجريدية على عشقه الحسناوات. فهو يريد أن يظهر في الوغى بطلاً قاتلاً لا أن يظهر في مصارع العشاق مقتولاً.

ومنه يمدح أبا العشائر: [من المنسرح](١٠٠)

مُسْتَحيياً مِنْ أبي العشائرِ أنْ أسْحَبَ في غيرِ أرضِه حُلَلَهْ
أسْحَبُها عِندهُ لَدى مَلِكٍ ثِيابُهُ مِن جَلِيسِه وَجِلَهْ

قوله:((عنده))أي عند أبي العشائر،والملك في قوله ((لدى ملك)) هو أبو العشائر نفسه على التجريد. جاء في الصبح المنبي:ولم يزل المتنبي بعد خروجه من الاعتقال في خمول وضعفِ حالٍ في بلاد الشام،حتى اتصل بأبي العشائر ومدحه.(١٠١)

ومنه قوله يرثي فاتكاً: [من البسيط] (١٠٢)

حَتّامَ نَحْنُ نُساري النَّجمَ في الظُلَمِ وما سُراهُ على خُفٍّ ولا قَدَمِ
ولا يُحِسُّ بأجفانٍ يُحِسُّ بها فَقْدَ الرُّقادِ غريبٌ باتَ لم يَنَمِ

((فاعل ((يحس)) الأولى يعود على النجم، وفاعل ((يحس)) الثانية: ((غريب)). يقول: إنّ النجوم لا يؤثر فيها عدم النوم كما يؤثر في رجل بعيد عن أهله بات يسري ساهراً: يعني نفسه)) (١٠٣) وقد يشترك في هذا كلُ غريب، فحسن التجريد.

ومن هذا النوع من التجريد البديعي ما جاء من هجاء المتنبي للضب الشاعر بقوله:(١٠٤)

يا لَكَ الوَيْلُ لَيْس يَعْجِزُ موسى رَجُلٌ حَشْوُ جِلْدِهِ فِرْعَوْنُ

فعبارة: ((رجل حشو جلده فرعون)) جاءت على طريقة التجريد. ففرعون هو نفسه ذلك الرجل كما يقال:((فلان حشو جلده أسد،أي هو أسد، فجعل الشاعر في مناصبته لهُ مثل فرعون،وجعل نفسه مثل موسى الذي قهر فرعون)). [١٠٥]

النوع الخامس: خطاب المرء نفسه:

وهذا نوع آخر من التجريد البديعي، معناه: ((إخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك، لا المخاطب نفسه))[١٠٦] كما عليه تجريد المتنبي عند مدحه أبي شجاع ـ فاتك ـ:[من البسيط] [١٠٧]

لا خَيْلَ عِندَكَ تُهْدِيهَا ولا مَالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطـقُ إنْ لَمْ تُسْعِدِ الحَالُ

فالمتنبي جرد من نفسه مخاطبا يربأ به عن سبة الفقر فلا يرغب بالتصريح بحاله، ويجرد من نفسه مخاطبا كذلك في مواضع يشارك فيها ممدوحه في طلب المجد نحو قوله:[من الطويل][١٠٨]

فَرُبَّ غُلامٍ عَـلَّمَ المَجْدَ نَفْسَهُ كتَعليمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنَ والضَّرْبا

إذ يعني بالغلام نفسه. يقول: إن المرء يمكنه أن يعلم نفسه المجد وإن لم يكن له من يعلمه، كما علم سيف الدولة نفسه الطعن والضرب.[١٠٩] فالمتنبي في هذا التجريد يشرك نفسه في مدحه لسيف الدولة دون تصريح. واعترض العكبري على ابتداء المتنبي بهذا المطلع:((لاخَيلَ عِندكَ تُهديها...))الذي هو أول ما يقرع سمع الممدوح، فشطره الأول((من الابتداء الذي يكرهه السامع،بأن يقول للممدوح:لا خيل عندك تهديها ولا مال، وهو أول ما يقوله له)) [١١٠] ولكن ما أن يتم البيت حتى يتلاشى هذا الهاجس المباغت، فيفهم العارف بأساليب العرب في كلامهم أنه التجريد الذي تستر وراءه المتنبي حينما لا يريد التصريح بنفسه في مثل هذه المواقف. ولا بد من التمييز عند قراءة مقدمات القصائد بين خطاب الشاعر نفسه وبين مخاطبته الصاحب أو القرين. ففي قول المتنبي في طلب الوقوف على الأطلال: [١١١]

قِفْ على الدِّمنَتَيْن بالدَّوّ ِ مِنْ رَيّـــــا كَخالٍ في وَجْنَةٍ جَنْبَ خالِ

لا يمكن حمل المرء على خطابه لنفسه بدليل مخاطبته للعاذل بعد ذلك بقوله:

لا تلُمْنِي فإنَّـني أعْـشَقُ العُشّـــ ـــاقِ فيها يا أعذَلَ العُذّالِ

وهذا أمر ظاهر، ولكن قد يخص نفسه في الخطاب نحو قوله بعد هذه الأبيات:

ما تُريدُ النَّوى من الحَيّةِ الذَّوْ واقِ حَرَّ الفَلا وبَرْدَ الظِّلالِ

فقد ((عني بالحيّة نفسه يريد أنه كثير السفر قد تعوّد بحرّ الفلوات بالنهار وبرد الليل والليل ظلّ كله، وهذا شكاية من الفراق وإنه مبتلى به)) [١١٢] ويقصد بالذوّاق نفسه أيضاً، ويمضي على هذا الأسلوب بقوله بعد:

فَهُوَ أمْضَى في الرَّوْعِ مِنْ مَلَكِ المَوْ تِ وأسرَى في ظُلمةٍ مِنْ خَيالِ

ولِحَتْفٍ في العِزِّ يَدْنُو مُحِبٌّ ولِعُمْرٍ يَطولُ في الذُّلِّ قالي

ويقصد في خطابه بالضمير ((هو)) نفسه، وكذلك: ((محب)) و ((قالي)) ودليل ذلك أمران:

أولهما: أسلوب الخطاب لا يحمل إلا على قصد النفس. والآخر: إن الصفات المذكورة هي قطعة من حياة المتنبي المثابرة.

وإخلاص الخطاب للغير في هذا النوع من التجريد يسميه ابن الأثير بـ ((التجريد المحض)) إذ قسم التجريد على نوعين: محض وغير محض وجعل غير المحض من باب التوسع حينما ينتقل القائل من الخطاب التجريدي إلى التصريح بنفسه. أما عند عدم التصريح بعد خطاب المرء نفسه فهو التجريد المحض، وهو عكس أسلوب الالتفات الذي لا بد فيه من الانتقال. ومثل ابن الأثير لهذا النوع بأبيات للحيص بيص. أولها وهو مطلع قصيدته:[١١٣]

إلامَ يَراكَ المَجْدُ في زيِّ شاعرٍ وقد نَحلتْ شوقاً فُروعُ المَنابرِ

ثم يذكر بعد هذا المطلع أبياتاً كلها في خطاب المرء نفسه.و يعلل ابن الأثير فائدة هذه الطريقة بأنها من محاسن التجريد، حيث أجرى الخطاب على غيره، وهو يريد نفسه، كي يتمكن من ذكر ما ذكره من الصفات الفائقة، وعَدِّ ما عَدَّه من الفضائل التائهة. وكل ما يجيء من هذا القبيل فهو التجريد المحض فيتمكن من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه، كأنه يخاطب بها غيره، ليكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقوله غير محجور عليه. [١١٤]

ومن هذا النوع خطاب المتنبي نفسه بقوله:[من الطويل] [١١٥]

كَفَى بكَ دَاءً أنْ تَرَى المَوْتَ شافِيا وَحَسْبُ المنايا أنْ يَكُنَّ أمانِيا
تمنَّيتَها لَمّا تَمَنّيتَ أن تَرى صَديقاً فأعْيا أوْ عَدُوّاً مُداجِيا
إذا كنتَ تَرْضَى أنْ تَعيشَ بِذِلَّةٍ فلا تَسْتَعِدَّنَّ الحُسامَ اليَمانيا
ولا تستطيلَنَّ الرِماحَ لِغارَةٍ ولا تَستَجيدَنَّ العِتاقَ المَذاكيا
فما يَنْفَعُ الأسْدَ الحَياءُ مِنَ الطَّوى ولا تُتَّقى حتّى تكونَ ضَواريا

أما عندما ينتقل الكلام ـ على رأي ابن الأثير ـ من خطاب الغير إلى خطاب النفس فهو من التوسع، وهو التجريد غير المحض، ومثل له بقول الصِّمَّة:

حَنَنْتَ إلى رَيّا وَنَفْسَكَ باعَدَتْ مَزارَكَ من رَيّا وشِعْباكُما مَعا

وبعد ثلاثة أبيات على الأسلوب ذاته عدل الشاعر مصرحاً بنفسه، يقول:[١١٦]

ولما رأيتُ البشر..... ..... فأسند الخطاب إلى نفسه.

وعلى أسلوب التوسع قول المتنبي مجرداً من نفسه إنساناً يخاطبه كأنه غيره:[من المنسرح][١١٧]

أهْلاً بِدارٍ سَباكَ أغيدُها أبْعدُ ما بانَ عنْكَ خُرَّدُها
ظَلْتَ بها تَنطوي على كَبِدٍ نَضيجَةٍ فَوقَ خِلبِها يَدُها

ثم يقطع تجريده مصرحاً بشخصه قائلاً:

ياحادِيَيْ عِيرِها وأحسَبُني أُوجَدُ مَيْتاً قَبْيْلَ أفْقِدُها
قِفا قليلاً بِها عليَّ فلا أقلَّ مِن نَظرَةٍ أُزوِّدُها

يقول في المطلع: أبعد شيء فارقك جواري هذه الدار الناعمات الأبكار. [١١٨]

ويقول ابن جني:((قوله: ((أبعد ما بان)) الهمزة للاستفهام، وبعد ظرف وكان سبيله أن يقول: أتطلب أهلا بدار سباك أغيدها بعد ما بان ؟ فلم يستقم له الوزن، فأخّر همزة الاستفهام، وهي مراده في الأول،ويعلم السامع بأن لها صدر الكلام))[١١٩] وقد يظهر مثل هذا على أسلوب المتنبي الشعري مقدما ومؤخرا في الألفاظ حتى يستقيم له المعنى المراد.

ويجرّح الو احدي بالمعنى فيقول:((سباك أبعد ما كان منك، وهذا من العجب، أنّ السابي يسبي وهو بعيد))[١٢٠]

ومن هذا الأسلوب التجريدي غير المحض ما جاء في ديوان المتنبي من قصيدة يرثي بها جدته وفيها يخاطب نفسه أولا بقوله: [من الطويل] [١٢١]

تَغَرَّبَ لا مُسْتَعظِماً غَيرَ نفسِهِ ولا قابلاً إلاّ لِخالقِهِ حُكْما
ولا سالِكاً إلاّ فُؤادَ عَجَاجَةٍ ولا واجداً إلاّ لمَكْرُمَةٍ طَعما

ثم العدول إلى التصريح بنفسه دون تجريد بقوله:

يقولون لي ما أنت في كُلّ بلدةٍ وما تَبْتَغي ما أبْتَغي جَلَّ أنْ يُسمى

ومنه يمدح ابن العميد بقصيدة أول ثلاثة أبيات منها جاء على خطاب المتنبي نفسه بقوله: [من الكامل][١٢٢]

بادٍ هَواكَ صَبَرْتَ أم لَمْ تَصْبِرا وَبُكاكَ إنْ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أو جَرى
كَمْ غرَّ صبرُكَ وابتسامُكَ صاحِباً لَمَّا رآكَ وفي الحَشى ما لا يُرى
أمَرَ الفؤادُ لسانَهُ وجفونَهُ فكَتَمْنَهُ وكفى بجسمِكَ مُخبِرا

ثم انتقل إلى التصريح بنفسه يقول:

تَعِسَ المهاري غيرَ مَهْرِيٍّ غدَا بمُصَوَّرٍ لَبِسَ الحَريرَ مُصَوَّرا

وعن مطلع هذه القصيدة قيل للمتنبي خالفت في هذا البيت بين سبك المصراعين، فوضعت في المصراع الأول إيجاباً بعده نفي، وفي الثاني نفياً بعده إيجاب، فقال: لئن كنت خالفت بينهما من حيث اللفظ، فقد وفقت بينهما من حيث المعنى؛ وذلك: أنّ من صبر لم يجر دمعه، ومن لم يصبر جرى دمعه. يعني أنه أراد: صبرت فلم يجر دمعك، أو لم تصبر فيجري. [١٢٣]

وورد في الصبح المنبي: أنه لما أنشد هذا البيت:كم غرَّ صبرك..... قال ابن العميد: يا أبا الطيب أتقول: بادٍ هواك، ثم تقول: غرَّ صبرك ؟! ما أسرع ما نقضت ما ابتدأت به فقال المتنبي: تلك حال وهذه حال.

[١٢٤] وجاء في شرح اليازجي: بأن الكلام انتهى، ولم يفسر مراد المتنبي ولقد أوجز أبو الطيب جوابه

غاية الإيجاز، ومراده أنّ الحال التي يذكرها في البيت الثاني سابقة على الحال المذكورة في البيت الأول ؛ لأنه يريد أنّ صبره كان يغرّ الناظر إليه قبل أن أسقمه الهوى وغيّرَ منظره، ولكنه لما أنتحل جسمه بعد ذلك استدل الناظر بنحوله على كونه عاشقاً، فبدا هواه ولم يعد صبره ولا ابتسامه يغنيان عنه شيئاً في كتم الهوى. وقد ازداد المعنى بيانا في البيت الذي يليه:(١٢٥)

أمرَ الفؤادُ لِسانهُ وجُفونَه فكَتَمْنَهُ وكفى بجسمِكَ مُخْبِرا

ويجرّد المتنبي منه نفساً يخاطبها ثم يصرح بشخصه في بيت واحد بقوله:[من الكامل](١٢٦)

كَمْ وَقْفَةٍ سَجَرَتْكَ شوقاً بعدما غَرِيَ الرقيبُ بنا ولَجّ العاذِلُ

دونَ التعانقِ ناحلَيْن كشكلَتَيْ نَصْبٍ أدقَّهُما وضَمَّ الشاكِلُ

سجرتك: ملأتك نحو قوله تعالى: (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) الطور: ٦ يقول ـ مخاطباً نفسه: كم وقفة مع الحبيبة تركتك على هذه الحال؟ دون التعانق ناحلين أي: دنا بعضنا من بعض ولم نتعانق خشية الرقيب والعاذل(١٢٧).

ومن هذه الطريقة بالانتقال من التجريد إلى التصريح قوله مخاطبا نفسه: [من الطويل] (١٢٨)

وَكَمْ لِظلامِ الليلِ عندكَ مِن يَدٍ تُخَبِّرُ أنَّ المانويَّة تكذِبُ

وَقاكَ رَدى الأعداءِ تَسْري إلَيْهِمِ وَزارَكَ فيه ذو الدَلالِ المُحَجَّبُ

خاطب نفسه في البيت الأول وزاد على ذلك دعاءً في الثاني، وفي هذا الدعاء يخاطب نفسه كأنه يخاطب غيره يبالغ في إيهام أن المخاطب غيره. والدليل على قصده في الخطاب نفسه قوله بعد ذلك:

ويومٍ كَلَيلِ العاشقينَ كَمَنْتُهُ أُراقبُ فيه الشَّمسَ أيّانَ تَغْرُبُ

وعَيْنِي إلى أُذنَيْ أغرَّ كأنَّهُ مِنَ اللَيلِ باقٍ بَينَ عَينَيْهِ كَوكبُ

وعلى هذه الطريقة من التساؤل في المطلع تجريداً ثم تصريحاً قول المتنبي ـ وقد بلغه أن قوما نعوه في مجلس سيف الدولة بحلب وهو بمصر: فتساءل أولا مخاطبا نفسه: [من البسيط](١٢٩)

بِمَ التَعلُلُ لا أهلٌ ولا وطنٌ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سَكَنُ

ثم مصرحا بقوله:

أريدُ من زَمَني ذا أنْ يُبَلِّغَني ما ليسَ يَبْلُغُهُ من نفسهِ الزَمَنُ

ثم لما شعر أن نفسه غير مستقرة وأنها تشعر بما يفزعها خاطبها ناصحاً لها موجها الخطاب إلى غيره على طريقة التجريد بقوله:

لا تَلْقَ دَهْرَكَ إلاّ غيرَ مُكتَرِثٍ ما دامَ يصْحَبُ فيه روحَكَ البَدَنُ

فما يَدومُ سُرورٌ ما سُرِرْتَ به ولا يَرُدُّ عليكَ الفائِتَ الحَزَنُ

ومخاطبة النفس على التجريد هنا تصلح خطابا عاما لكل أحد أن يخاطب به نفسه ناصحا لها: ألا تهن وتضعف أمام حوادث الدهر، ثم يصرح بخبر النعي بقوله:

يا مَن نُعيتُ على بُعدٍ بمجلسِهِ كلٌّ بما زَعَمَ الناعونَ مُرْتَهَنُ

ثم في موقف آخر يعلل نفسه ـ وهو يخاطبها على التجريد ـ كأنه يخاطب غيره ـ ويواسي حزنها بأن ترضى بنصيبها من الحياة بقوله: [من الوافر] (١٣٠)

نَصيبُكَ في حياتِكَ مِن حَبيبٍ نَصيبُكَ في مَنامِكَ مِن خَيالِ

فحظك من وصال الحبيب في الحياة كحظك من وصال خيالك في المنام. كقول أبي تمام: (١٣١)

ثَمَّ انقَضَتْ تِلكَ السُنونَ وأهلُها فكأنَّها وكأنَّهُمْ أحلامُ

ثم يقطع المتنبي تجريده قائلاً:

رَماني الدَّهْرُ بالأرْزاءِ حتّى فُؤادي في غِشاءٍ مِن نِبالِ

فَصِرْتُ إذا أصابتْني سِهامٌ تَكسَرَتِ النِصالُ على النِصالِ

يقول الأستاذ محمود شاكر: ((وهذا الحديث عن نفسه ومصائبها ورزاياها، وما فيه من الحزن الغالب على عقله وعواطفه، بعد الذي كان من أفراحه.....))(١٣٢) والمبالغة في التجريد عن طريق خطاب المرء نفسه، تعني أن يجعل نفسه لكمال إدراكها كأن فيها نفساً أخرى تقوي من ضعف الأولى ساعة الضعف،وتؤازر الأخرى ساعة القوة، لذلك تبقى العلاقة قائمة بين أن يصرح المرء بنفسه أو يخاطبها

على التجريد حسب مقتضى الحال والموقف. فإذا جرّد ثم صرح فقد يحصل العكس،بأن يصرح بنفسه ثم يجرد منها نفساً أخرى ـ على التخييل ـ لأسباب تستدعي ذلك ـ يخاطبها كأنها غيره.

نحو قوله مصرحا بنفسه:[من الطويل](١٣٣)

أفي كُلِّ يومٍ تَحْتَ ضِبْني شُوَيْعِرٌ ضَعيفٌ يُقاوِيني قَصيرٌ يُطاوِلُ
لِساني بنُطقي صامِتٌ عنهُ عادِلٌ وقلبي بصَمْتي ضاحِكٌ منهُ هازِلُ

ثم يذكر سبب صمته مستخدماً أسلوب التجريد لما يستدعيه هذا الموقف ألاّ يصرّح أو يجرّح بالذي أتعبه وأغاضه بقوله مخاطباً نفسه:

وأتعَبُ مَن ناداكَ مَن لا تجيبه وأغيظُ مَنْ عاداكَ مَن لا تُشاكِلُ

ومنه أيضاً قوله: (١٣٤)

فإنْ أمْرَضْ فما مَرِضَ اصطِباري وإنْ أُحْمَمْ فما حُمَّ اعتزامي

ثم يقطع التصريح إلى التجريد بقوله مخاطباً نفسه:

تَمَتَّعْ مِنْ سُهادٍ أو رُقادٍ ولا تأمَلْ كَرىً تَحْتَ الرِّجامِ

ومنه قوله: (١٣٥)

ذِكرُ الصِّبى ومَراتِع الآرامِ جَلَبَتْ حِمامي قبلَ وقتِ حِمامي
وَلَطالما أفنَيْتُ رِيقَ كَعابِها فيها وأفنَتْ بالعِتابِ كَلامي

ثم ينقطع إلى التجريد مخاطباً نفسه بقوله:

قَدْ كنتَ تَهزأُ بالفِراقِ مَجانَة وتَجُرُّ ذيْلَيْ شِرَّةٍ وعُرامِ

جاء في العرف الطيب في شرح هذا البيت بأن الشاعر:((يخاطب نفسه يقول: إنه قبل أن يبتلى بالفراق ويعرف مرارته كان يهزأ به لهواً واستخفافاً ويمرح في حدّتهِ وبطره غير مبالٍ بما سيذيقه من الشدائد))(١٣٦) وهو في هذا كأنه يعاتب نفسه على إسرافها في عدم المبالاة وشدة البطر.والعتاب غرض مهم من أغراض التجريد، فالمتنبي لا يريد لنفسه أن تهون، فكأنه يعاتبها على ما بدر منها إثر فراق الكعاب من ضعفٍ لا يريده أن يظهر.

وهذه الطريقة بالانتقال من خطاب المرء نفسه إلى التصريح وبالعكس طريقة قال بها القدماء، وبعضه لا يتعارض مع الالتفات نحو قول امرئ القيس مخاطباً نفسه: (١٣٧)

تَطاوَلَ ليلُكَ بالإثمِدِ ونامَ الخَليُّ وَلَم ترقُدِ
وباتَ وباتَتْ لَه ليلة كليلةِ ذي العاثِرِ الأرمَدِ

ثم إلى التصريح بشخصه يقول:

وذلكَ مِن نبأٍ جاءني وخُبِّرْتُهُ عن بَنِي الأسْوَدِ

وقول علقمة بن عَبدَة مجردا:(١٣٨)

طحا بكَ قلبٌ في الحِسانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشبابِ عَصْرَ حانَ مشيبُ

ثم مصرحاً بقوله:

تُكلّفُني ليلى وقد شَطَّ وَيْلُها وعادَتْ عَوادٍ بَيْنَنا وخُطُوبُ

وكذلك حسان بن ثابت مخاطباً نفسه بقوله:(١٣٩)

تَبَلَتْ فُؤادَكَ في المَنامَ خَريدَةٌ تَسقي الضَجيعَ ببارِدٍ بَسّامِ

ثم انتقل مصرحاً بشخصه قائلاً:

أقْسَمتُ أنساها وأترُكُ ذِكرَها حتّى تغيَّبَ في الضَريحِ عِظامي

وقوله في رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم مخاطباً نفسه:(١٤٠)

ما بالُ عينكَ لا تنامُ كأنَّما كُحلتْ مآقيها بكُحْلِ الأرمَدِ

ثم خرج عن التجريد قائلاً:

وَجهي يَقيكَ التُرْبَ لَهفي ليتَني غُيِّبتُ قَبْلَكَ في بقيعِ الغَرْقَدِ

وأبيات امرئ القيس مذكورة في باب الالتفات، ولا تعارض بينها وبين التجريد غير المحض. وقد أشار السكاكي في كلامه عن التفاتات امرىء القيس إلى ما فيها من تجريد إذ يقول عن الالتفاتات الثلاثة في

أبياته بأنه ((فعل ذلك منبهاً في التفاته الأول على أنّ نفسه وقت ورود ذلك النبأ عليها ولهت وله الثكلى فأقامها مقام المصاب الذي لا يتسلى... إلا ّبتفجع الملوك له...،وأخذ يخاطبه بـ ((تطاول ليلك)) تسلية،أونبه على أنّ نفسه لفظاعة شأن النبأ..أبدت قلقها...وكان من حقها أن تثبت وتتصبّر ،فعل الملوك،...فحين لم تفعل شكّكته في أنها نفسه، فأقامها مقام مكروب قائلاً له:((تطاول ليلك)) مسلياً أونبه في التفاته الأول على أن نفسه حين لم تتثبت ولم تتصبّر ،غاضه ذلك، فأقامها مقام المستحق للعتاب قائلاً على سبيل التوبيخ:((تطاول ليلك))[١٤١]فهذا التحليل يدل على وجود التجريد بجانب الالتفات، حيث أقام الشاعر نفسه مقام المصاب أو المكروب،أو المستحق للعتاب،فخاطبه بقوله: ((تطاول ليلك)) وهذا ما جعل السبكي يقول:((وقد صرح السكاكي بلفظ التجريد في أثناء كلامه عن الالتفات في أبيات امرئ القيس))[١٤٢] ويقول الدكتور الشحات:((وبجانب ما ذكره السكاكي نرى عدداً من البلاغيين يمثلون في التجريد ببيت قتادة بن مسلمة:

فلَئِنْ بَقِيتُ لأرْحَلَنَّ بِغَزوَةٍ تَحْوي الغَنائِمَ أو يَمُوتَ كريمُ

مع جواز تخريجه على الالتفات))[١٤٣]وعن قول علقمة بن عبدة ((طحا بك قلب...))

يقول السبكي: ((فالتفت في قوله ((تكلفني)) عن قوله ((بك)) من الخطاب إلى التكلم))[١٤٤]، ويقول ((وفي قوله: طحا بك...،على رأي السكاكي جرّد من نفسه حقيقة مثلها وخاطبها، فالضمير واقع في محله،فهو التفات وتجريد))،[١٤٥] فحملت أبيات امرئ القيس على الالتفات والتجريد.وليس كل تجريد التفاتاً،ولا كل التفات تجريداً فمن الكلام ما يكون تجريداً دون التفات، كقولك: ((رأيت منه أسداً)) وقول المتنبي: [من الكامل][١٤٦]

فمَتى أقومُ بشُكرِ ما أوْلَيْتَني والقَولُ فيكَ عُلُوُّ قَدْرِ القائِلِ

((يريد بالقائل نفسه يقول: إنّ شكري لا يكافئ نعمك ؛ لأنك تعطي بحسب علو قدرك، وأنا أتكلم بحسب علـو قدري، فشكري لا يزال منحطاً عن إحسانك)).[١٤٧] ومن الكلام ما يكون التفاتاً دون تجريد نحو قوله تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْھ ه ه ھےے ۓۓ ﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝ﴾[١٤٨]وقول المتنبي في مدح أبي العشائر: [من الخفيف][١٤٩]

يا بَني الحارِثِ بنِ لُقمانَ لا تَعْـ دَمْكُمُ في الوَغى مُتُونُ العِتاقِ

ثم التفت واصفاً بني الحارث أنفسهم بقوله:

بَعَثُوا الرُّعْبَ في قلوبِ الأعادِيْـ ـي فكانَ القِتالُ قبْلَ التلاقي

فمن ذلك كله وجد أن للتجريد البديعي خصوصية تعبيرية يدخل فيها عنصر التخييل والإبداع ذلك عندما تتحاور المعاني في النفس ويكون فيها أكثر من مخاطب تتحسسه النفس ويتصوره الخيال بما له من قدرة على الخلق والإبداع حتى تقترب صورة المعنى من الحقيقة كأنها هي. ثم أن هذا الانتزاع في التجريد يمثل فناً طوعياً صادقاً لحظة الخلق يتقاطع مع التكلف والقسر. والتجريد كذلك يختزل كثيراً من الألفاظ، فيخرج التعبير حاملاً من المعنى أضعاف ألفاظه، فالتعبير التجريدي الذي يحتمل التشبيه يختزل أدوات التشبيه وأركانه حتى تبدو الصورة التجريدية أرقى وأبلغ وأوجز من الصورة التشبيهية كتفضيل الاستعارة على التشبيه في غالب صورها البيانية البليغة. والتجريد يسهم في تصوير المعاني بطريقة أوضح وأوسع إدراكاً. أما العفوية فتظهر في أسلوب المتنبي نفسه، فقسوة الغربة عليه في مصر بعد خروجه من حلب عملت عملها فيه حتى كأن هناك في داخله من يستدعيه أن ينتبه إليه قائلاً له: [من البسيط][١٥٠]

بِمَ التَعَلُّلُ لا أهلٌ ولا وطنٌ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سَكَنُ

فهو لا يسأل أحداً غيرَ نفسه مجرداً منها صورة من الحزن. وفي صورة من الابتهاج تتراءى أمام عينه مواكب نساء الملوك والأشراف بِحليهِنَّ وطلْعَتِهِنَّ فيغيب عن نفسه فيخاطبها كأنها غيره يسألها في أول خطابه على براعة من الاستهلال بقوله: [من البسيط] [١٥١]

مَنِ الجَآذِرُ في زِيِّ الأعاريبِ حُمْرَ الحُلَى والمَطايا والجَلابيبِ
إنْ كنتَ تسألُ شَكّاً في مَعارِفِها فَمَنْ بَلاكَ بتَسهيدٍ وتعْذيبِ

ولكن هذا السؤال التجريدي وهذا الحوار الداخلي يمنع المتلقي ((المخاطب في النص))من الإجابة؛ لأنه السائل هو نفسه المخاطب، ثم إنه يعرف هذه الجآذر بدليل تسهيدهنَّ وتعذيبهن له

فالداعي إلى التجريد هنا هو التعجب مما يرى، صيغ على تعبير تختفي وراءه لواعج الهوى وعذابات النفس.

المصادر والمراجع:

١- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق:هـ.ريتر طبعة مصورة عن ط١ استانبول١٩٥٤.
٢- أنوار الربيع في أنواع البديع - علي صدر الدين بن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر ط١، مطبعة النعمان النجف ١٩٦٨م.
٣-الإيضاح في علوم البلاغة - الخطيب القز ويني، مطبعة السنة المحمدية،القاهرة (د.ت).
٤- خزانة الأدب وغاية الأرب - لأبي بكر بن علي بن عبد الله بن حجة الحموي(ت: ٨٣٧هـ) تحقيق الدكتورة كوكب دياب،ط٢، دار صادر - بيروت، ٢٠٠٥م.
٥- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت (د،ط، ت).
٦- دراسات منهجية في علم البديع الدكتور الشحات محمد أبو ستيت، ط١، دار خفاجي - كفر سبين قليوبية.
٧- دلائل الإعجاز. عبد القا هر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شكر. ط٣ مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني بجدة ١٩٩٢م.
٨- ديوان الأعشى (ميمون بن قيس) شرح مهدي محمد ناصر الدين، ط٣، دار الكتب العلمية.
٩- ديوان امرئ القيس، شرح عبد الرحمن المصطاوي ط٣، دار المعرفة، بيروت ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
١٠- ديوان أبي الطيب، شرح الواحدي. تحقيق الدكتور عمر فاروق الطباع. دار الأرقم - بيروت (د. ت).
١١- ديوان أبي نواس. شرح علي فاعور - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى - بيروت ١٩٨٧م.
١٢- ديوان البحتري - شرح الدكتور يوسف الشيخ محمد، دار الكتب العلمية- بيروت،١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.
١٣- ديوان حسان بن ثابت. تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس، بيروت (د.ت).
١٤- ديوان الحماسة لأبي تمام الطائي. تحقيق: الدكتور عبد المنعم أحمد صالح. دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٧م.
١٥- شرح ديوان أبي تمام - ضبط وشرح شاهين عطية، دار الكتب العلمية،بيروت(د.ت).
١٦- شرح ديوان جرير- تأليف:محمد إسماعيل عبد الله الصاوي،دار الأندلس،بيروت(د.ت).
١٧- شرح ديوان المتنبي (أحمد بن الحسين). وضعه عبد الرحمن البرقوقي. دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
١٨- شعر دعبل بن علي الخزاعي (ت ٢٤٦هـ) صنعة الدكتور عبد الكريم الأشتر، ط٢. دمشق ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٩- الصبح المنبي عن حيثية المتنبي - للشيخ يوسف البديعي. تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا وعبدة زيادة عبدة ط٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٤م.
٢٠- الصورة السمعية ودلالتها البلاغية في القرآن الكريم - أطروحة دكتوراه - عباس حميد السامرائي - كلية الآداب جامعة بغداد ٢٠٠١م.
٢١- العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب - ناصيف اليازجي. (د. ط، ت).
٢٢- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح - للسبكي تحقيق الدكتور خليل إبراهيم خليل ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢١هـ - ٢٠٠١م.
٢٣- الفتح على أبي الفتح. محمد بن احمد بن فورَّجة. تحقيق: عبد الكريم الدجيلي، ط٢، دار الشؤون الثقافية - بغداد ١٩٨٧م.
٢٤- الفسر أو شرح ديوان أبي الطيب المتنبي - لابن جني. تحقيق: الدكتور صفاء خلوصي، مطبعة الشعب منشورات وزارة الثقافة والفنون - بغداد، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.
٢٥- في ظلال القرآن - سيد قطب. دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٧م.

٢٦- الكتاب ـ سيبويه عمر بن عثمان بن قنبر. تحقيق: عبد السلام هارون، ط٤، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٢٧- لسان العرب ـ ابن منظور ـ تحقيق: عامر احمد حيدر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٥م.
٢٨- المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا أبو فهر محمود محمد شاكر ط٣، مطبعة المدني ـ القاهرة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
٢٩- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ضياء الدين بن الأثير. تحقيق: محيي الدين عبد الحميد. مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م.
٣٠- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ـ سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت٧٩٢هـ). تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي ، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
٣١- معترك الأقران ـ للسيوطي. تحقيق: احمد شمس الدين، ط١ دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٨م.
٣٢- معجم القراءات القرآنية. للدكتور احمد مختار عمر والدكتور عبد العالم سالم مكرم. ط٣، عالم الكتب، ١٩٩٧م.
٣٣- مفتاح العلوم. أبو يعقوب السكاكي. تحقيق: الدكتور عبد الحميد الهنداوي. ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
٣٤- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح: ابن يعقوب المغربي، تحقيق: الدكتور خليل إبراهيم خليل، ط (١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
٣٥- النقد المنهجي عند العرب. الدكتور محمد مندور. دار النهضة ـ القاهرة، ٢٠٠٧م.

الهوامش :

(١) الإيضاح للقز ويني ٢: ٣٦٣.
(٢) نفسه وينظر أنوار الربيع ٦: ١٥٣.
(٣) ديوانه ـ شرح البرقوقي ١: ٤٣٧.
(٤) نفسه٢: ٢٢٩.
(٥) الكتاب ١:٣٨٩.
(٦) ديوانه: ١٣٠.
(٧) سورة البقرة ٢٥٩.
(٨) الخصائص ٢:٤٧٥ ـ ٤٧٦.
(٩) سورة فصلت:٢٨.
(١٠) أسرار البلاغة:٣١٠ـ ٣١١.
(١١) عروس الأفراح ٤: ٣٥١.
(١٢) أسرار البلاغة: ٣١٠.
(١٣) أسرار البلاغة:٣١٠ ـ ٣١١.
(١٤) المطول: ٤٣٢.
(١٥) أنوار الربيع: ٦: ١٥٣.
(١٦) مواهب الفتاح: ٢: ٥٣٨.
(١٧) أنوار الربيع: ٦: ١٥٣.
(١٨) مواهب الفتاح ٤: ٣٥١.
(١٩) المطول:٤٣٢.
(٢٠) نفسه: ٤٣٣.
(٢١)الإيضاح ٢: ٣٦٤.
(٢٢) المطول: ٦٦٣.
(٢٣) سورة الرحمن ٣٧.
(٢٤) عروس الأفراح ٤: ٣٥٧.
(٢٥) ديوانه:١٥٦.
(٢٦) عروس الأفراح ٤: ٣٥٨.
(٢٧) المطول: ٦٦٤.
(٢٨) دلائل الإعجاز: ٤٢٥.

(٢٩) خزانة الأدب ٤: ٣٢٨.
(٣٠) ديوانه ـ شرح البرقوقي ٢: ٣٣٧.
(٣١) نفسه ٢: ٢٠١.
(٣٢) نفسه ٢: ٢٢٩.
(٣٣) العرف الطيب ٢: ٥٢٩.
(٣٤) ديوانه ـ شرح البرقوقي ٢: ٣٢٢.
(٣٥) نفسه ٢: ٣٢٣.
(٣٦) سورة التوبة ٥٦.
(٣٧) معترك الأقران ٣: ٣٨٣، وينظر في ظلال القران ٤: ٢٣٩، والصورة السمعية ودلالتها البلاغية في القرآن الكريم:١٥٥.
(٣٨) ديوانه ـ شرح البرقوقي ١: ٢٤٣وينظر لسان العرب ٢: ٧٧٥
(٣٩) نفسه ٣٨:٢.
(٤٠) نفسه.
(٤١) سورة يوسف ٨٥.
(٤٢) معترك الأقران ١: ٢٩٥.
(٤٣) ديوانه ـ شرح البرقوقي ١: ٢٥٢
(٤٤) ديوانه ـ شرح الو احدي ٢: ٧٥٩.
(٤٥) ديوانه ـ شرح البرقوقي ١: ٢٥٣.
(٤٦) ديوانه ـ شرح البرقوقي ٢: ١٤٦.
(٤٧) سورة آل عمران ١٣ وينظر الفتح الوهبي: ١١٨.
(٤٨) ديوانه ـ شرح البرقوقي ٢: ٢٤٦.
(٤٩) ديوانه ـ شرح الو احدي ٢: ٨٣٥.
(٥٠) ديوانه ـ شرح العكبري ٣: ١٤٢ وينظر: ديوان جرير١: ٥٦٣.
(٥١) ديوانه ـ شرح البرقوقي ٢: ٩.
(٥٢) العرف الطيب ٢: ٣٠٠.
(٥٣) ديوانه ـ شرح البرقوقي ٢: ٢١١.
(٥٤) خزانة الأدب٤: ٣٢٩.
(٥٥) ديوانه ـ شرح البرقوقي ٢: ٢١١.
(٥٦) الفتح على أبي الفتح:١٢٥.
(٥٧) ديوانه ـ شرح البرقوقي ٢: ٢٢٩.
٥٨) نفسه.
(٥٩) نفسه١: ٣٤١.
(٦٠) نفسه.
(٦١) نفسه ٢: ٣٨٠.
(٦٢) نفسه ٢: ٣٧٠.
(٦٣) نفسه٢: ٤٩٢.
(٦٤) العرف الطيب ٢: ٥٥٧.
(٦٥) ديوانه ـ شرح البرقوقي ٢: ٣٤٦.
(٦٦) نفسه.
(٦٧) نفسه ٢: ٢٨٤.
(٦٨) نفسه.
(٦٩) نفسه ١: ١١٥.
(٧٠) نفسه ١: ١٢٦.

(٧١) نفسه.
(٧٢) ديوانه – شرح العكبري ١: ٦٨
(٧٣) الإيضاح٢: ٣٦٣.
(٧٤) ديوانه ـ شرح البرقوقي ١: ١٨٧.
(٧٥) نفسه.
(٧٦) نفسه ١: ٢٨٢ .
(٧٧) العرف الطيب ١: ٤٢.
(٧٨) الفسر ٢: ٣٢٧.
(٧٩) نقلا عن شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ١: ٢٧٢.وبيت أبي نواس ديوانه: ٤٦١.
(٨٠) تكملة البيت((ولكل ركب عيسهم والفدفد)) نقلا عن شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ١: ٢٨٢.
(٨١) ديوانه ـ شرح البرقوقي ١: ٢٧٣.
(٨٢) ديوانه ـ شرح الواحدي ١: ٨٤.
(٨٣) ديوانه ـ شرح البرقوقي ١: ٤٣٧.
(٨٤) نفسه ٣٨٦.
(٨٥) نفسه ٢: ٥١٠.
(٨٦) ديوانه ـ شرح الواحدي ٢: ٨٩٣.
(٨٧) ديوانه ١: ٢٨٨.
(٨٨)دلائل الإعجاز: ٤٨٩، ٤٩٦.
(٨٩) الإيضاح ٢: ٣٦٤.
(٩٠) ديوانه ـ شرح البرقوقي ١: ١٤٥.
(٩١) نفسه.
(٩٢) نفسه ١: ١٦٩.
(٩٣) نفسه ١: ١٦٨.
(٩٤) نفسه١: ٨٨.
(٩٥) نفسه.
(٩٦) نفسه ٢: ٢١٣.
(٩٧) نفسه وينظر ديوان دعبل الخزاعي: ٢٠٥.
(٩٨) ديوانه ـ شرح البرقوقي ٢: ٢١٣.
(٩٩) ديوانه ـ شرح الواحدي ٢: ٣٩٢.
(١٠٠) ديوانه ٢: ٢٢٥.
(١٠١) الصبح المنبي:٦٨.
(١٠٢) ديوانه٢: ٤١٧.
(١٠٣) نفسه ٢: ٤١٨.
(١٠٤) العرف الطيب: ٢: ٦٤٢.
(١٠٥) نفسه.
(١٠٦) المثل السائر ١: ٤٢٣.
(١٠٧) ديوانه ـ شرح البرقوقي ٢: ٢٢٩.
(١٠٨) نفسه ١: ١٢٠.
(١٠٩) نفسه.
(١١٠) ديوانه ـ شرح العكبري ٣: ٢٧٧.
(١١١) ديوانه ـ شرح البرقوقي ٢: ١٧٦.
(١١٢) ديوانه ـ شرح الواحدي ١: ٢٨٨.
(١١٣) المثل السائر١: ٤٢٤.
(١١٤) نفسه.
(١١٥) ديوانه ـ شرح البرقوقي ٢: ٥٠١.

(١١٦) ديوان الحماسة لأبي تمام:٣٦٥.
(١١٧)ديوانه ـ شرح البرقوقي ١: ٢٦٠.
(١١٨) نفسه.
(١١٩) الفسر ٢: ٢٧٣.
(١٢٠) ديوانه ـ شرح الواحدي ١: ٧٥.
(١٢١) ديوانه ـ شرح البرقوقي ٢: ٣٨٤.
(١٢٢) نفسه١: ٤١٠.
(١٢٣) نفسه.
(١٢٤) ينظر: الصبح المنبي:١٤٧.والنقد المنهجي عند العرب ٢٤٥.
(١٢٥) العرف الطيب: ٢: ٥٦٥.
(١٢٦) ديوانه ـ شرح البرقوقي ١: ١٩٠.
(١٢٧) نفسه.
(١٢٨) نفسه ١: ١٩٠.
(١٢٩) نفسه٢: ٤٦٧.
(١٣٠) نفسه٢: ٧٠.
(١٣١) شرح ديوان أبي تمام:٢٦٣.
(١٣٢) المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا:٣٢٠.
(١٣٣) ديوانه ـ شرح البرقوقي ٢: ٣١١.
(١٣٤) نفسه ٢: ٤١٣.
(١٣٥) نفسه٢: ٣١٣.
(١٣٦) العرف الطيب: ٢: ٤٥٢.
(١٣٧) ديوان امرئ القيس ـ شرح المسطاوي: ٨٧.
(١٣٨) ديوانه: ٣٣.
(١٣٩) ديوان حسان بن ثابت ـ شرح البرقوقي:٤١٨.
(١٤٠) نفسه:١٥٣.
(١٤١) مفتاح العلوم: ٣٠٢ – ٣٠٣.
(١٤٢) عروس الأفراح ١: ٣٧٩.
(١٤٣) دراسات منهجية في علم البديع: ١٧٥.
(١٤٤) عروس الافراح١: ٣٧٤.
(١٤٥) نفسه١: ٣٧٧.
(١٤٦) ديوانه ـ شرح البرقوقي ٢: ٢١١.
(١٤٧) العرف الطيب: ١: ١٥٧.
(١٤٨) سورة فاطر ٩..
(١٤٩) ديوانه ـ شرح البرقوقي ٢: ٤٧.
(١٥٠) نفسه٢: ٤٦٧.
(١٥١) نفسه ١: ١٨٢.